هذا كتاب

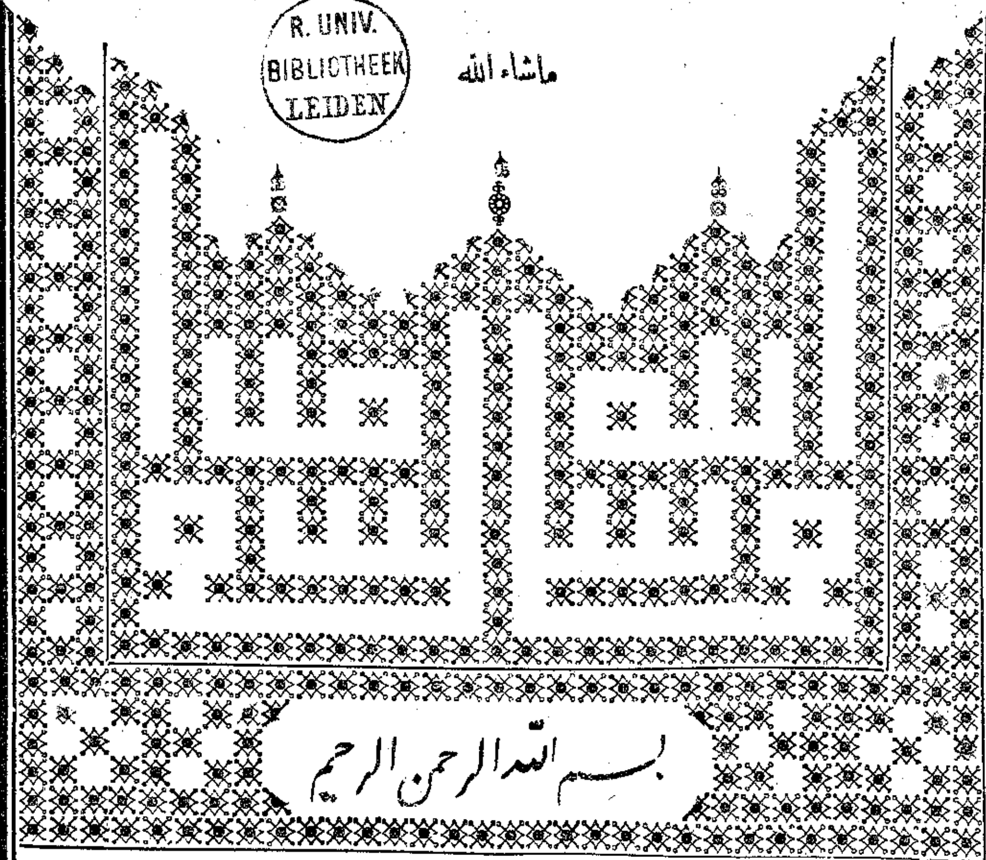
التنوير في اسقاط التدبير

تأليف الشيخ الامام العلامة القدوة وحيد عصره
وفريد دهره القطب الرباني أبي الفضل أحمد
ابن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندري المالكي رضي الله
تعالى عنه وأعاد علينا
من بركاته وعلومه
آمين

*(وبهامشه تاج العروس الحاوي لتهذيب
النفوس تأليف الشيخ الامام تاج الدين بن عطاء الله
السكندري المذكور أعلاه رحمه الله تعالى)*

(طبع بالمطبعة الميمنية)
على نفقة أصحابها (مصطفى البابي الحلبي وأخويه)
(بمصر)

ماشاء الله



قال الشيخ الامام العارف القدوة المحقق تاج العارفين * لسان المتكلمين * امام وقته وأوحد عصره حجة السلف * وامام الخلف * قدوة السالكين * وحجة المتقين * تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به ونفع به كافة المسلمين انه سميع قريب مجيب * الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير * الواحد فى الحكم والتقدير * الملك الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * ليس له فى ملكه وزير * المالك الذى لايخرج عن ملكه * كبير ولا صغير المتقدس فى كمال وصفه عن الشبيه والنظير * المنزه فى كمال ذاته عن التمثيل والتصوير * العليم الذى لايخفى عليه ما فى الضمير * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * العالم الذى أحاط علمه بمبادى الامور ونهاياتها * السميع الذى لافصل فى سمعه بين جهر الاصوات واخفاتها * الرزاق وهو المنعم على الخليقة بايصال أقواتها * القيوم وهو المتكفل بها فى جميع حالاتها * الواهب وهو الذى من على النفوس بوجود حياتها * القدير وهو المعيد لها بعد وجود وفاتها * الحسيب وهو المجازى لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيآتها * فسبحانه من اله من على العباد بالجود قبل الوجود * وقام لهم بارزاقهم مع كلتا حالتيهم من اقرار وجحود * وأمد كل موجود بوجود عطائه وحفظ وجوده وجود العالم بامداد بقائه * وظهر بحكمته فى أرضه * وبقدرته فى سمائه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة عبد مفوض لقضائه * مستسلم له فى حكمه وامضائه * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع أنبيائه * المخصوص بجزيل فضله وعطائه * الفاتح الخاتم وليس ذلك لسوائه * الشافع فى كل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه * صلى الله عليه وعلى سائر أنبيائه * وعلى آله وصحبه المتمسكين بولائه * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * اعلم يا أخى جعلك الله من أهل حبه وأتحفك بوجود قربه * وأذاقك من شراب أهل وده * وأمنك بدوام وصلته من اعراضه وصده * ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته * وجبر كسر قلوبهم لما علموا أنه لاتدركه الابصار بأنوار تجلياته * وفتح رياض القرب وأهب منها على قلوبهم واردات

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين هذا كتاب تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس تأليف الشيخ الامام الجامع بين علمى الشريعة والحقيقة تاج الدين أبى العباس أحمد ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته وأفاض علينا وعلى المسلمين من بركته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحابته آمين أيها العبد اطلب التوبة من الله فى كل وقت فان الله تعالى قد ندبك اليها فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فان أردت التوبة فينبغى لك أن لاتخلو من التفكر طول عمرك فتفكر فيما صنعت فى نهارك فان وجدت طاعة فاشكر الله عليها وان وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك واستغفر الله وتب اليه فانه لامجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وأنت ضاحك

نفحاته * وأشهدهم سابق تدبيره فيهم فسلموا اليه القياد * وكشف لهم عن خفى لطفه فى صنعه فخرجوا عن المنازعة والعناد * فهم مستسلمون اليه ومتوكلون فى كل الامور عليه * علما منهم انه لايصل عبد الى الرضا الا بالرضا * ولا يبلغ الى صريح العبودية الا بالاستسلام الى القضا * فلم تفارقهم الاغيار * ولم ترد عليهم الاكدار * كما قال قائلهم

لاتهتدى نوب الزمان اليهم * ولهم على الخطب الشديد لجام

ترى تجرى عليهم أحكامه وهم لجلاله حامدون * ولحكمه مستسلمون * كما قال

تجرى عليك صروفه * وهموم سرك مطرقه

وان من طلب الوصول الى الله تعالى فحقيق عليه أن يأتى الامر من بابه * وأن يتوصل اليه بوجود أسبابه * وأهم ما ينبغى تركه والخروج عنه والتطهر منه وجود التدبير * ومنازعة المقادير * فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك * ومظهرا لما هنالك * وسميته التنوير * فى اسقاط التدبير * ليكون اسمه موافقا لمسماه * ولفظه مطابقا لمعناه * والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم * وأن يتقبله بفضله العميم * وأن ينفع به الخاص والعام بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير * قال الله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ترك التدبير ومنازعة المقادير اما نصا صريحا واما اشارة وتلويحا وقد قال أهل المعرفة من لم يدبر دبر له وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا وقال أيضا لاتختر من أمرك شيأ واختر أن لاتختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار * فقوله تعالى فى الآية الاولى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيه دلالة على ان الايمان الحقيقى لايحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن فى كليهما * فاحكام التكليف الاوامر والنواهى المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين بالامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى لم يكتف بنفى الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج فى نفسه على ما قضى حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففى ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد فى المقسم عليه علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أولها وفى ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالاهيته حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفى الآية اشارة أخرى لعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى فلا وربك فاضاف نفسه تعالى اليه كما قال فى الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه اسمه الى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم فى

فرح بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسة حزين القلب منكسر ذليل فان فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحا وبالذل عزا وبالظلمة نورا وبالحجاب كشفا (وعن الشيخ) مكين الدين الاسمر رحمه الله تعالى وكان من السبعة الابدال قال كنت فى ابتداء أمرى أخيط وأتقوت من ذلك وكنت أعد كلامى بالنهار فاذا جاء المساء حاسبت نفسى فاجد كلامى قليلا فاوجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه وما وجدت فيه من غير ذلك تبت الى الله واستغفرته الى أن صار بدلا رضى الله عنه واعلم انه اذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ويحققها فانت لاتحاسبه لمحاسبته نفسه وان كان وكيلا غير محاقق لنفسه فانت تحاسبه وتحققه وتبالغ فى محاسبته فعلى هذا ينبغى لك أن يكون عملك كله لله تعالى ولا ترى انك تفعل فعلا والله تعالى لايحاسبك ولا يحاققك واذا وقع من العبد ذنب وقع معه ظلمة فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها كمن أوقد فى بيت سبعين سنة ألا تراه يسود كذلك القلب يسود بالمعصية فلا يطهر الا بالتوبة الى الله فصار الذل

والظلمة والحجاب مقارنة للمعصية فاذا تبت الى الله زالت آثار الذنوب ولا يدخل عليك الاهمال الا باهمالك عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم
ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى الا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين جلية

أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة اليه في نقضه وابرامه *(فائدة)* اعلم ان الحق سبحانه اذا أراد أن يقوي عبدا على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعته فتنزلت الاقدار وقد سبقت اليه الانوار فكان بربه لا بنفسه فقوي لاعبائها وصبر للأوائها وانما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا * وان شئت قلت وانما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره * وان شئت قلت وانما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وان شئت قلت وانما اصبرهم على ما جرى عليهم بأنه يرى * وان شئت قلت وانما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله * وان شئت قلت وانما اصبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا * وان شئت قلت وانما اصبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار * وان شئت قلت وانما قواهم على حمل أثقال التكاليف * ورود أسرار التصريف * وان شئت قلت انما اصبرهم على أقداره * علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لاحكام سيده وقوته عند ورودها وهو المعطي لكل ذلك بفضله والمان بذلك على ذوي العناية من أهله * ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل الفائدة * وتحصل الجدوى والعائدة *(فأما الاول)* وهو انما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار وذلك أن الانوار اذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه وان هذه الاحكام لم تكن الا عنه فكان علمه بأن الاحكام انما هي من سيده سلوة له وسببا لوجود صبره ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أي ليس هو حكم غيره فيشق عليك بل هو حكم سيدك القائم باحسانه اليك وانا في هذا المعنى

وخفف عني ما ألاقي من العنا * بأنك أنت المبتلي والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذي يتخير

ومثال ذلك لو ان انسانا في بيت مظلم فضرب بشيء ولا يدري من الضارب له فلما أدخل عليه مصباح نظر فاذا هو شيخه أو أبوه أو أميره فان علمه بذلك مما يوجب صبره على ما هنالك *(الثاني)* وهو قوله انما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * اعلم انه اذا أورد الله تعالى على عبده حكما وفتح له باب الفهم عنه في ذلك الحكم فاعلم انه أراد سبحانه ان يحمله عنه وذلك أن الفهم يرجعك الى الله ويحثك اليه ويجعلك متوكلا عليه وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه ووافيه وناصره على الاغيار وراعيه لان الفهم عن الله تعالى يكشف لك عن سر العبودية فيك وقد قال سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وكل هذه الوجوه العشرة ترجع الى الفهم عنه وانما هي أنواع فيه *(الثالث)* وهو قوله انما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا وذلك أن واردات العطايا السابقة من الله اليك تذكرك لها مما يعينك على حمل أحكام الله اذ كما قضى لك بما تحب اصبر له على ما يحب فيك ألم تسمع قوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا هذا في العطايا السابقة وقد يقترن بالبلايا في حين ورودها ما يخففها على العباد المقربين من ذلك ان يكشف لهم عن عظيم الاجر الذي ادخره لهم في تلك البلية ومنها ما ينزله على قلوبهم من التثبيت والسكينة ومنها ما يورده عليهم من دقائق اللطف وتنزلات المنن حتى كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول في مرضه أشدد خنقك وحتى قال بعض العارفين لقد مرضت مرضة فاحببت أن لا تزول لما ورد علي فيها من امداد الله تعالى وانكشف فيها من وجود غيبه وللكلام في سبب ذلك موضع غير هذا

وخفية فالجلية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك والخفية أن تعتقد الجمع في صلاتك والتدبر في قراءتك فاذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعا ولا تدبرا فاعلم ان بك مرضا باطنا من كبر أو عجب أو غير ذلك قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فيكون مثالك كالمحموم الذي يجد في فمه السكر مرا فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام فمن تبعني فانه مني فمفهوم هذا ان من لم يتبعه ليس منه وقال تعالى حكاية عن نوح عليه وعلى نبينا المصطفى أزكى الصلاة والسلام ان ابني من أهلي فاجابه سبحانه بقوله تعالى قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وان كان أجنبيا كسلمان الفارسي رضي الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ومعلوم وأن سلمان من أهل فارس ولكن بالمتابعة قال عنه صلى الله عليه وسلم تعلمها فكما أن المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال وقد جمع الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى والزهد والتقلل من الدنيا وترك ما لا يعني

من قول وفعل فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية واذا طلبت الخير
كله فقل اللهم اني أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم في الاقوال والافعال ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد

(الرابع) وهو انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وذلك أن العبد اذا شهد حسن اختيار الله تعالى له علم أن الحق سبحانه لا يقصد ألم عبده لانه به رحيم وكان بالمؤمنين رحيما وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة معها ولدها فقال أترون هذه طارحة ولدها في النار قالوا لا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها غير انه سبحانه وتعالى يقضي عليك بالآلام لما يترتب عليها من الفضل والانعام ألم تسمع قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولو وكل الحق سبحانه العباد الى اختيارهم لحرموا وجود منته ومنعوا الدخول الى جنته فلله الحمد على حسن الاختيار ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وان الاب المشفق يسوق لابنه الحجام لا لقصد الايلام وكالطبيب الناصح يعانيك بالمراهم الحادة وان كانت مؤلمة لك ولو طاوع اختيارك لبعد الشفاء عليك ومن منع وعلم ان المنع انما هو اشفاق عليه فهذا المنع في حقه عطاء وكالام المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكل خشية التخمة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم أن الحق سبحانه وتعالى اذا منعك لم يمنعك عن بخل وانما منعك رحمة لك فمنع الله تعالى عطاء ولكن لا يفهم العطاء في المنع الا صديق وفي كلام أثبتناه في غير هذا الكتاب انه ليخفف عنك ألم البلايا علمك بانه سبحانه وتعالى هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي له فيك حسن الاختيار (الخامس) وهو انما اصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وذلك أن علم العبد بان الحق سبحانه مطلع عليه فيما أبلاه يخفف عنه اعباء البلايا ألم تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أي ما تلقاه يا محمد من كفار قريش من المعاندة والتكذيب فليس يخاف علينا والحكاية المشهورة أن انسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ولم يتأوه فلما ضرب السوط الذي هو تمام المائة تأوه فقيل له في ذلك فقال كان الذي ضربت من أجله في الحلقة في التسعة والتسعين فلما ولى عني أحسست بالالم (السادس) وهو انما اصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا تجلى على عبده في حين ملاقاته لمر غلبة البلايا حمل حرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلي فربما غيبهم ذلك عن الاحساس بالالم ويكفيك في ذلك قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن (السابع) وهو انما اصبرهم على القضاء علمهم بان الصبر يورث الرضا وذلك أن من صبر على أحكام الله أورثه ذلك الرضا من الله فتحملوا حرارتها طلبا بالرضاه كما يتحسى الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء (الثامن) وهو انما اصبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا أراد أن يحمل عن عبد ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فاراه قربه منه فغيبه أنس القرب عن ادراك المؤلمات ولو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم ذلك عن ادراك العذاب كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم فالعذاب انما هو وجود الحجاب وأنواع العذاب مظاهره والنعيم انما هو بالظهور والتجلي وأنواع النعيم مظاهره (التاسع) وهو انما قواهم على حمل أثقال التكليف ورود أسرار التصريف وذلك لان التكاليف شاقة على العباد ويدخل في ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الاحكام والشكر عند وجود الانعام فهي اذا أربعة طاعة ومعصية ونعمة وبلية وهي أربع لا خامس لها ولله عليك في كل واحدة من هذه الاربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية فحقه عليك في الطاعة شهود المنة منه عليك فيها وحقه عليك في المعصية الاستغفار مما ضيعت فيها وحقه عليك في البلية الصبر معه عليها وحقه عليك في النعمة وجود الشكر منك فيها ويحمل عنك اعباء ذلك كله الفهم واذا فهمت أن الطاعة راجعة اليك وعائدة بالجدوى عليك صبرك ذلك على القيام بها واذا علمت أن الاصرار على المعصية والدخول فيها يوجب العقوبة من الله آجلا وانكشاف نور الايمان عاجلا كان ذلك سببا للترك منك لها واذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته

الله في أعراضهم وأنسابهم فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضا لانطلقوا الى الله ولكنهم معوقون كالمديان بسبب من يطلبه واعلم انك لو كنت مخصصا عند الملك مقربا منه وجاء من يطالبك بدين ضيق عليك ولو كان قدرا يسيرا فكيف بك اذا جئت يوم القيامة ومائة ألف انسان أو أكثر يطلبونك بديون مختلفة من أخذ مال وقذف عرض وغير ذلك فكيف يكون حالك المصاب حقا من محقته الذنوب والشهوات حتى جعلته كالشن البالي هذا هو المنكوب المعزى ذهبت ما آكله وشهواته ملابسها المرحاض وأرضى بها زوجته ويا ليتها كانت من حلال فاول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها الا بها مثال العبد اذا فعل المعصية كالقدر الجديد يوقد تحتها النار ساعة فتسود فان بادرت الى غسلها انغسلت من ذلك السواد وان تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تكسر ولا يفيد غسلها شيأ فالتوبة هي التي تغسل سواد القلب فتبرز الاعمال وعليها رائحة القبول فاطلب من الله تعالى التوبة دائما فان ظفرت بها فقد طاب وقتك لانها موهبة من الله يضعها حيث شاء من عباده وقد يظفر بها العبد المشفق الا كعاب دون سيده وقد تظفر بها المرأة دون زوجها والشاب دون الشيخ فان ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وانما يغتبط بالشيء من

وتنعطف عليك بركاته سارعت اليه وعولت عليه واذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم كان ذلك سببا للمثابرة عليه ونهوضك اليه وسنبسط الكلام على هذه الاربع في آخر الكتاب ونفردها فصلا ان شاء الله تعالى *(العاشر)* وهو انما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره وذلك أن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الالطاف ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي البلايا والاسقام والفاقات من أسرار الالطاف مالا يفهمه الا أولو البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وبسط القول في ذلك يخرجنا عن قصد الكتاب *(انعطاف)* لنرجع الآن الى الآية وهي قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * اعلم أن الاحوال ثلاثة قبل التحكيم وفيه وبعده فاما قبل التحكيم فعبوديتهم التحكيم وأما في الحكم وبعده فعبوديتهم عدم وجدان الحرج في أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله تعالى حتى يحكموك قيل ليس كل من حكم فقد الحرج عنه اذقد يحكم ظاهرا والكراهة عنده موجودة فلابد ان ينضم الى التحكيم فقدان الحرج ووجود التسليم فان قال القائل اذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليما فما فائدة الاتيان بقوله ويسلموا تسليما بعد نفي الحرج المستلزم لقبول التسليم الذي من صفته وجود التأكيد فالجواب عنه أن قوله تعالى ويسلموا تسليما أي في جميع أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله حتى يحكموك فالجواب أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى فيما شجر بينهم فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور أحدها التحكيم فيما اختلفوا فيه والثاني عدم وجدان الحرج في التحكيم والثالث وجود التسليم المطلق فيما شجر بينهم وفيما نزل بينهم في أنفسهم فهو عام بعد خاص فافهم *الآية الثانية وهي قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون تتضمن فوائد * الفائدة الاولى قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار * يتضمن ذلك الالزام للعبد بترك التدبير مع الله لانه اذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر ما يشاء فمن لا خلق له لا تدبير له أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويتضمن قوله ويختار انفراده بالاختيار وأن أفعاله ليست على الالجاء والاضطرار بل هو على نعت الارادة والاختيار وفي ذلك الزام للعبد باسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى اذ ما هو له لا ينبغي أن يكون لك وقوله ما كان لهم الخيرة يحتمل الوجهين أحدهما لا ينبغي أن تكون الخيرة لهم وأن يكونوا أولى بها منه سبحانه وتعالى وثانيهما ما كان لهم الخيرة أي ما أعطيناهم ذلك ولا جعلناهم أولى بما هنالك وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون أي تنزيه الله أن يكون لهم الخيرة معه وبينت الآية أن من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدعي الربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله *الآية الثالثة وهي قوله تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى فيها دلالة على اسقاط التدبير مع الله بقوله أم للانسان ما تمنى أي لا يكون ولا ينبغي له لانا ما جعلناه له وأكد ذلك بقوله فلله الآخرة والاولى ففي ذلك أيضا الزام العبد ترك التدبير مع الله تعالى أي اذا كان لله الآخرة والاولى فليس فيهما للانسان شئ فلا ينبغي له التدبير في ملك غيره وانما ينبغي أن يدبر في الدار من هو مالكها وهو الله سبحانه وتعالى * وقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا فيه دليل على ان من لم يكن كذلك لا يجد حلاوة الايمان ولا يدرك مذاقه وانما يكون ايمانه صورة لا روح فيها وظاهرا لا باطن له ورسما لا حقيقة تحته وفيه اشارة الى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه

تعرف قدره ولو بدرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب اليهم فانظر من أي الفريقين أنت ان تبت فانت من المحبوبين وان لم تتب فانت من الظالمين قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون من تاب ظفر ومن لم يتب خسر ولا تقطع بأسك وتقول كم أتوب وانقض فالمريض يرجو الحياة ما دامت فيه الروح اذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والارض والرسول صلى الله عليه وسلم فالحق سبحانه لم يرض ان تكون محبا بل محبوبا وأين المحبوب من المحب أف لعبد يعلم احسان المحسن فيجترى على معصيته ولكن ما عرف احسانه من آثر عصيانه وما عرف قدره من لم يراقبه وما ربح من اشتغل بغيره فعلم ان النفس تدعوه الى الهلكة فتبعها وعلم ان القلب يدعوه الى الرشد فعصاه وعلم قدر المعصى فواجهه بالمعصية ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته وعلم قرب مولاه وانه يراه فسارع لما عنه نهاه وعلم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى وغيبا وشهادة فما استحيا من ربه ولو علم انه في قبضته لما قابله بمخالفته واعلم ان المعصية تتضمن نقض العهد وتحليل عقد الود والايثار على المولى والطاعة للهوى وخلع جلباب الحياء والمبادرة لله بما لا يرضى مع ما في ذلك من الآثار الظاهرة من ظهور الكدورة في الاعضاء والجمود في العين والكسل في الخدمة وترك الحفظ للحرمة وظهور كسب الشهوات وذهاب بهجة الطاعات وأما الآثار الباطنة فكالقساوة في القلب ومعاندة النفس وضيق الصدر بالشهوات وفقدان حلاوة الطاعات وترادف الاغيار المانعة من بروق شوارق الانوار واستيلاء دولة الهوى الى غير وألقى

وألقى قياده اليه خارجا عن تدبيره واختياره الى حسن تدبير الله واختياره فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضا من الله كما قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه واذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعلم احسان الله اليه ولا يكون الرضا بالله الامع الفهم ولا يكون الفهم الامع النور ولا يكون النور الامع الدنو ولا يكون الدنو الامع العناية فلما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته أمداد الله وأنواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه ولسلامة ذوقه ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله لم يدرك ذلك لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا وليس هو في نفس الامر كذلك فاذا زالت أسقام القلوب أدركت الاشياء على ما هي عليه فتدرك حلاوة الايمان ولذاذة الطاعة ومرارة القطيعة والمخالفة فيوجب ادراكها الحلاوة الايمان اغتباطها به وشهود المنة من الله عليها فيه وتطلب الاسباب الحافظة للايمان والجالبة له ويوجب ادراك لذاذة الطاعة المداومة عليها وشهود المنة من الله فيها ويوجب ادراكها المرارة الكفران والمخالفة الترك لهما والنزوع عنهما وعدم الميل اليهما فيحمل على الترك للذنب وعدم التطلع اليه وليس كل متطلع تاركا ولا كل تارك غير متطلع وانما كان كذلك لان نور البصيرة دال على ان المخالفة لله والغفلة عنه سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله تعالى كنفرتك عن الطعام المسموم وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى واختاره لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولقوله ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون واذا رضي بالاسلام دينا فمن لازم ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن وجود الزواجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة اذا رأى ملحدا يجادل ان يدخل فيه ما ليس منه فيدمغه ببرهانه ويقمعه بتبيانه وقوله صلى الله عليه وسلم وبمحمد نبيا فلازم من رضي بمحمد نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه وأن يتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناية وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا وظاهرا وباطنا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا تكون واحدة منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه واذقد تبين هذا فاعلم أن مقامات اليقين تسعة وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرضا والرجاء والتوكل والمحبة ولا يصح كل واحدة من هذه المقامات الا باسقاط التدبير مع الله والاختيار وذلك أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه كذا يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه لان التدبير والاختيار من كبائر القلوب والاسرار والتوبة هي الرجوع الى الله تعالى من كل ما لا يرضاه لك والتدبير لا يرضاه لك لانه شرك بالربوبية وكفر لنعمة العقل ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه غافل عن حسن رعاية مولاه وكذلك لا يصح الزهد الا بالخروج عن التدبير لانك مما أنت مخاطب بالخروج عنه والزهد فيه تدبيرك اذ الزهد زهدان زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي فالظاهر الجلي الزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفي الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله وكذلك لا يصح صبر ولا شكر الا باسقاط التدبير وذلك لان الصابر من صبر عما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله تعالى التدبير معه والاختيار لان الصبر على أقسام صبر عن المحرمات وصبر عن الواجبات وصبر عن التدبيرات والاختيارات وان شئت قلت صبر عن الحظوظ البشرية وصبر على لوازم العبودية ومن لوازم العبودية اسقاط التدبير مع الله تعالى وكذلك لا يصح الشكر الا لعبد ترك التدبير مع الله لان الشكر كما قال الجنيد

ذلك من ترادف الارتياب ونسيان المآب وطول الحساب ولو لم يكن في المعصية الا تبدل الاسم لكان ذلك كافيا فانك اذا كنت طائعا تسمى بالمحسن واذا كنت عاصيا انتقل اسمك الى المسيء المعرض هذا في انتقال الاسم فكيف بانتقال الاثر من تبدل حلاوة الطاعة بحلاوة المعصية ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة هذا في تبدل الاثر فكيف بتبدل الوصف بعد ان كنت موصوفا عند الله بمحاسن الصفات فينعكس الامر فتتصف بمساوى الحالات هذا في تبدل الوصف فكيف تبدل المرتبة فبعد ان كنت عند الله من الصالحين صرت عنده من المفسدين وبعد ان كنت عنده من المتقين صرت عنده من الخائنين فان كانت الذنوب منفتحة في وجهك فاستغث بالله والجأ اليه واحث التراب على رأسك وقل اللهم انقلني من ذل المعصية الى عز الطاعة وزر ضرائح الاولياء والصالحين وقل يا أرحم الراحمين أتريد ان تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك والافئدة جهلت فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة وثمراتها مواجيدها فالعين ثمرتها الاعتبار والاذن ثمرتها الاستماع للقرآن واللسان ثمرته الذكر واليدان والرجلان ثمرتهما السعي في الخيرات فاذا جف القلب سقطت ثمراته فان أجدب فاكثر من الاذكار ولا تكن كالعليل يقول لا أتداوى حتى أجد الشفاء فيقال له لا تجد الشفاء حتى تتداوى فالجهاد ليس معه حلاوة ومامعه الا رؤس الاسنة فجاهد نفسك هذا هو الجهاد الاكبر واعلم ان الشكلى لاعيد لها بل العيد لمن قهر نفسه لا عيد الا لمن جمع شمله (جاز) بعضهم على دير راهب فقال له يا راهب متى عيد هؤلاء القوم

قال يوم يغفر لهم ما مثالك مع نفسك الا كمن وجد زوجته فى حانة خمار فأتاها بالملابس الحسنة والمآكل الطيبة واذا تركت الصلاة أصبحت تطعمها الهرائس والالوان (بقى

بعضهم) أربعين سنة لا يحضر الجماعة لما يشم من نتن قلوب الغافلين فاعرفك بصالح

رحمه الله تعالى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه ولولا العقل الذى ميزك الله به على أشكالك وجعله سببا لكمالك لم تكن من المدبرين معه اذ الجمادات والحيوانات لا تدبير لها مع الله افقدان العقل الذى من شأنه النظر الى العواقب والاهتمام بها وينافض أيضا مقام الخوف والرجاء اذ الخوف اذا توجهت سطواته الى القلوب منعها أن تسترو ح الى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك اذ الراجى قد امتلا قلبه فرحا بالله ووقته مشغول بمعاملة الله تعالى فاى وقت يسعه التدبير مع الله تعالى وينافض أيضا مقام التوكل وذلك أن المتوكل على الله من ألقى قياده اليه واعتمد فى كل أموره عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير والاستسلام لجريان المقادير وتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات وينافض أيضا مقام المحبة اذ المحب مستغرق فى حب محبوبه وترك الارادة معه هى عين مطلوبه وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لانه قد شغله عن ذلك حبه لله ولذلك قال بعضهم من ذاق شيئا من خالص محبة الله ألهاه ذلك عما سواه وينافض أيضا مقام الرضا وهو بين لا اشكال فيه وذلك أن الراضى قد اكتفى بسابق تدبير الله فيه فكيف يكون مدبرا معه وهو قد رضى بتدبيره ألم تعلم ان نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير فالراضى عن الله بسطه نور الرضا لاحكامه فليس له تدبير مع الله وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له فافهم

(فصل) اعلم أن الذى يحملك على اسقاط التدبير مع الله والاختيار أمور * الاول علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم أن الله كان لك قبل ان تكون لنفسك فكما كان لك مدبرا قبل أن تكون ولا شئ من تدبيرك معه كذلك هو سبحانه وتعالى مدبر لك بعد وجودك فكن له كما كنت له يكن لك كما كان لك ولذلك قال الحسين الحلاج كن لى كما كنت لى فى حين لم أكن فسال من الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له بالتدبير قبل وجوده لانه قبل وجود العبد كان العبد مدبرا بعلم الله وليس هنالك للعبد وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان لاجل ذلك فان قلت فانه فى حين لم يكن عدم فكيف يتعلق التدبير به فاعلم أن للاشياء وجودا فى علم الله وان لم يكن لها وجود فى أعيانها فالحق سبحانه وتعالى يتولى تدبيرها من حيث انها موجودة فى علمه وفى هذه المسئلة غور عظيم ليس هذا الموضع محل البسطه (بيان واعلام) اعلم أن الحق سبحانه وتعالى تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك فى كل ذلك بوجود برازك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه جعلك نطفة مستودعة فى الاصلاب وتولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا لما أنت فيه مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء الى أبيك آدم ثم قذفك فى رحم الام فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة الالهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه وتعالى أن ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه وتعالى فى المضغة صورتك وأقام بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الام فاجرى عليك رزقه من قبل ان يخرجك الى الوجود ثم أبقاك فى رحم الام حتى قويت أعضاؤك واشتدت أركانك ليهيئك الى البروز الى ما قسم لك أو عليك وليبرزك الى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليك ثم لما أنزلك الى الارض علم سبحانه وتعالى انك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحاء تستعين بها على ما أنت طاعم فاجرى الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحث الرحمة فى قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التى جعلها لك فى الام مستحثا لا يفتر ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والنظر بعين المودة منهما اليك وما هى الا رأفة ساقها اليك والى العباد فى مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفى

الدنيا وما أجهلك بصالح آخرتك مثال الدنيا عندك كمن خرج الى الضيعة واجتهد لخزن الاقوات فقد أتيت بما يعود نفعه عليك فى وقته وأنت خزنت حيات الشهوات وعقارب المعصية فهلكت كفى بك جهلا ان الناس يخزنون الاقوات لوقت حاجتهم اليها وأنت تخزن ما يضرك وهى المعاصى هل رأيت من يأتى بحيات فيربيها فى داره فها أنت تفعل ذلك وأضر ما يخاف عليك محقرات الذنوب لان الكبائر ربما استعظمتها فتبت منها واستحقرت الصغائر فلم تتب منها فمثالك كمن وجد أسدا فخلصه الله منه فوجد بعده خمسين ذئبا فغلبوه قال الله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم والكبيرة حقيرة فى كرم الله فاذا أصررت على الصغيرة صارت كبيرة لان السم يقتل مع صغره والصغيرة كالشرارة من النار والشرارة قد تحرق بلدة * من أنفق عافيته وصحته فى معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار فاشترى بها حيات وعقارب وجعلها حوله تلدغه هذه مرة وتلسعه هذه أخرى الى أن تقتله وأنت تمحق الساعات فى مخالفته فما مثالك الا كالحدأة تطوف على الجيفة حيث ما وجدتها انحطت عليها فكن كالنحلة صغير جرمها عظيمة همتها تجنى طيبا وتضع طيبا طالما رغبت فى مواطن المحن فمرغ فى محبة الله عز وجل فهذه الحقيقة تبين طريقك

حقيقة

ولكن من أماتته الغفلة لم ترده النكات لان المرأة الناقصة العقل يموت ولدها وهى تضحك فكذلك أنت تنكب عن قيام الليل وعن صيام النهار وفى جميع جوارحك ولم تتألم وما ذلك الا لان الغفلة قد أماتت قلبك لان

الحى يؤلمه نقر الابرة ولو قطع الميت

حقيقة الامر ما كفالك الا ربوبيته وما حضنك الا الاهيته ثم ألزم الاب القيام بك الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك الى أوان تكمل الافهام وذلك عند الاحتلام ثم الى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الى الشيخوخة ثم اذا قدمت عليه ثم اذا حشرت اليه ثم اذا أقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا أدخلك دار ثوابه ثم اذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه قال سبحانه وتعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاى احسانه تشكر وأى آلائه وأياديه تذكر واسمع قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله تعلم انك لم تخرج ولن تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه وان أردت البيان فى تقلبات أطوارك فاسمع ما قاله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون تبدو لك بوارقها وتبسط عليك شوارقها وفى ذلك ما يلزمك أيها العبد الاستسلام اليه والتوكل عليه ويضطرك الى اسقاط التدبير وعدم منازعة المقادير والله الموفق (الثانى) ان تعلم ان التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم انه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فصار التدبير فى اسقاط التدبير والنظر للنفس ترك النظر لها فافهم ههنا قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فباب التدبير من الله لك هو اسقاط التدبير منك لنفسك (الثالث) علمك بان القدر لا يجرى على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون ما لا تدبر وأقل ما يكون ما أنت له مدبر والعاقل لا يبنى بناء على غير قرار فتى تتم مبانيك والاقدار تهدمها وعن التمام تصدها شعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

واذا كان التدبير منك والقدر يجرى على خلاف ما تدبر فما فائدة تدبير لا تنصره الاقدار وانما ينبغى أن يكون التدبير ان بيده ازمة المقادير ولذلك قيل شعر

ولما رأيت القضا جاريا * بلاشك فيه ولا مرية

توكلت حقا على خالق * وألقيت نفسى مع الجرية

(الرابع) علمك بان الله تعالى هو المتولى لتدبير مملكته علوها وسفلها غيبها وشهادتها وكما سلمت له تدبيره فى عرشه وكرسيه وسمواته وأرضه فسلم له تدبيره فى وجودك الى هذه العوالم فان نسبة وجودك الى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك كان نسبة السموات السبع والارضين السبع بالنسبة لى الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض والكرسى والسموات السبع والارضون السبع بالنسبة الى العرش كالحلقة الملقاة فى فلاة من الارض فماذا عسى ان تكون أنت فى مملكته فاهتمامك بامر نفسك وتدبيرك لها جهل منك بالله بل الامر كما قال سبحانه وما قدروا الله حق قدره فلو ان العبد عرف ربه لاستحى ان يدبر معه ولا قذف بك فى بحر التدبير الا حجبتك عن الله لان الموقنين لما كشف عن بصائر قلوبهم شهدوا أنفسهم مدبرين لا مدبرين ومصرفين لا متصرفين ومحركين لا متحركين وكذلك عمار الصفيح الاعلى مشاهدون لظهور القدرة ونفوذ الارادة وتعلق القدرة بمقدورها والارادة بمرادها والاسباب معزولة فى مشهدهم فلذلك طهروا من الدعوى لما هم عليه من وجود المعاينة وثبوت المواجهة فلذلك قال سبحانه انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ففى هذا تزكية للملائكة واشارة الى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب اليهم اذ لو كان كذلك لقال انا نحن نرث الارض والسماء بل نسبتهم اليه وهيبتهم له وولههم من عظمته منعهم ان يركنوا لشئ دونه فكما سلمت لله تدبيره فى سمائه وارضه فسلم له

بالسيوف لم يتألم فانت حينئذ ميت القلب فاجلس مجالس الحكمة فيه نفحة من نفحات الجنة تجدها فى طريقك وفى دارك وفى بيتك فلا يفتك المجلس ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة فى حضور المجلس وأنا أعصى ولا اقدر على ترك المعصية بل على الرامى أن يرمى فان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا اعلم يا هذا اياك والمعصية فقد تكون سببا لتوقف الرزق فاطلب من الله التوبة فان قبلت والا فاستغث بالله وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا تكن كمن أتى عليه أربعون سنة ولم يقرع باب الله قط وأكثر ما يخاف عليك سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى بسبب اطفاء جمرة الايمان بسواد العصيان وهى الذنب على الذنب حتى يسود القلب من غير توبة اياك ان تتهاون فى أعمالك وتختار الطيبات لرحاضك واحذر نفسك التى بين جنبيك فهى التى تحطب عليك ثم لا تفارق صاحبها الى الممات والشيطان يفارق فى رمضان لانه تغل فيه الشياطين وربما تجد من يقتل فيه ويسرق فهذا من النفس فاذا مالت الى المعصية فذكرها عذاب الله والقطيعة عن الله بسببه والعسل المسموم يترك مع العلم بحلاوته لما فيه من وجود الاذى لقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة ويروى

الضاجيفة قذرة حلاوة خضرة عند أهل الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء حلاوة خضرة عند النفوس جيفة قذرة عند مرائى القلوب حلاوة خضرة للتحذير وجيفة قذرة للتنفير فلا تخدعنكم بحلاوتها فان عاقبتها مرة اذا قيل لك من المؤمن فقل الذى اطلع على عيب نفسه

تدبيره فى وجودك لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ((الخامس)) علمك بانك ملك لله وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك ملكه ليس لك تدبيره واذا كنت أيها العبد لا تنازع فيما تملك ولا ملك لك الا بتمليكه اياك وليس لك ملك حقيقى وانما هى نسبة شرعية أوجبت الملك لك من غير شئ قائم بوصفك تستوجب به ان تكون مالكا فأن لا تنازع الله فيما يملكه أولى وأحرى لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلا ينبغى لعبد بعد المبايعة تدبير ولا منازعة لان ما بعته وجب عليك تسليمه وعدم المنازعة فيه فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة * ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى رحمه الله يوما فشكوت اليه بعض أمرى فقال ان كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك أبدا وان كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ما شاء ثم قال الراحة فى الاستسلام الى الله وترك التدبير معه وهو العبودية * قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله نمت ليلة عن وردى فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض فلما استيقظت سمعت هاتفا يقول شعرا

كل شئ لك مغفور * سوى الاعراض عنا قد غفرنا لك ما فات * بقى ما فات منا

ثم قيل لى يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت ((السادس)) علمك بانك فى ضيافة الله لان الدنيا دار الله وأنت نازل فيها عليه ومن حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل * قيل للشيخ أبى مدين رحمه الله يا سيدى ما لنا نرى المشايخ يدخلون فى الاسباب وأنت لا تدخل فيها فقال يا أخى انصفونا الدنيا دار الله ونحن فيها ضيوفه وقد قال عليه السلام الضيافة ثلاثة أيام فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة وقد قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة اقامتنا فى الدنيا منها وهو مكمل ذلك بفضله فى الدار الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم ((السابع)) نظر العبد الى قيومية الله تعالى فى كل شئ ألم تسمع قوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم فهو سبحانه وتعالى قيوم الدنيا والآخرة قيوم الدنيا بالرزق والعطاء والآخرة بالاجر والجزاء فاذا علم العبد قيومية ربه به وقيامه عليه ألقى قياده اليه وانطرح بالاستسلام بين يديه فالقى نفسه بين يدى ربه مسلما ناظرا ما يرد عليه من الله حكما ((الثامن)) هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التى هى مغياة بالعمر لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فاذا توجهت همته الى رعاية عبوديته شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم ان لله تعالى عليك فى كل وقت سهما فى العبودية يقتضيه الحق سبحانه وتعالى منك بحكم الربوبية والعبد مطالب بذلك كله ومسؤل عنه وعن أنفاسه التى هى أمانة الحق عنده فاين الفراغ لاولى البصائر عن حقوق الله حتى يمكنهم التدبير لانفسهم والنظر فى مصالحها باعتبار حظوظها وما ربها ولا يصل أحد الى منة الله الا بغيبته عن نفسه وزهده فيها مصروفة همته الى محاب الله تعالى متوفرة دواعيه على موافقته دائبا على خدمته ومعاملته فبحسب غيبتك عن نفسك فناء عنها يبقيك الله به لذلك قال الشيخ أبو الحسن أيها السابق الى سبيل نجاته الشائق الى حضرة جنابه اقلل النظر الى ظاهرك ان أردت فتح باطنك لاسرار ملكوت ربك ((التاسع)) وهو انك عبد مربوب وحق العبد أن لا يعول هما مع سيده مع اتصافه بالافضال وعدم الاهمال فان روح مقام العبودية الثقة بالله والاستسلام الى الله تعالى وكل واحد منهما يناقض التدبير مع الله تعالى والاختيار معه بل على العبدان يقوم بخدمته والسيد يقوم له بمنته وعلى العبد القيام بالخدمة والسيد يقوم له بوجود القسمة فافهم قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بايصال قسمتنا ((العاشر)) عدم علمك بعواقب الامور فربما دبرت أمرا ظننت أنه لك فكان عليك وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد والاضرار من وجوه المسار والمسار من وجوه الاضرار وربما

ولم ينسب أحدا من العباد الى عيب واذا قيل لك من المخذول فقل الذى ينسب العباد الى العيب ويبرئ نفسه منه ومما تمادى عليه أهل الزمان مباسطتهم ومؤانستهم للعاصين ولو انهم عبسوا فى وجوههم لكان ذلك زاجرا لهم عن المعصية لو فتح لك باب الكمال لما رجعت الى الرذائل أرأيت من فتح له باب القصور هل يرجع الى المزابل لو فتح لك باب الانس بينك وبينه ما طلبت من تأنس به لو اختارك لربوبيته ما قطعك عنه لو كرمت عليه ما رمالك لغيره اذا عزل عنك محبة مخلوق فافرح فهذا من عنايته بك ولا يكون معصية الا والذل معها أفتعصيه ويعزك كلا فقد ربط العز مع الطاعة والذل مع المعصية فصار فى طاعته نور وعز وكشف حجاب وضدها معصية ظلمة وذل وحجاب بينك وبينه ولكن ما منعك من الشهود الا عدم وقوفك مع الحدود واشتغالك بهذا الوجود اذا عصى ولدك فادبه بالشرع ولا تقطعه بل قابله بالعبوسة ليكف عن المعصية وأكثر ما يدخل

على المؤمن الدخل اذا كان عاصيا فاما أن يفضحوه واما أن يستهزؤا به فاذا فعلوا ذلك فقد أخطؤا الطريق اذا عصى المؤمن كنت فقد وقع فى ورطة عظيمة وطريقه أن تفعل معه كما فعلت مع ولدك عند عصيانه تعرض عنه فى الظاهر وتكون له راجيا فى الباطن

وتطلب له الدعاء بالغيب كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا أو تشغل قلبك بما عندهم فتكون أجهل منهم لانهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت أنت بما لم تعط ترمد عينك فتعالجها وما سبب ذلك الا انك

كنت المنن فى المحن والمحن فى المنن وربما انتفعت على أيدى الاعداء وأرديت على أيدى الاحباب فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن عاقلا أن يدبر مع الله ولا يدرى المسار فيأتيها ولا المضار فيتقيها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ويكفيك قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وكم مرة أردت أيها العبد أمرا فصرفه عنك فوجدت لذلك غما فى قلبك وحرجا فى نفسك حتى اذا كشف لك عن عاقبة ذلك علمت انه سبحانه نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدرى وحاط لك من حيث لا تعلم وما أقبح مريدا لا فهم له وعبيدا لا استسلام له فكن كما قيل

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه * فلا زلت بى منى أبر وأرحما
عزمت على ان لا أحس بخاطر * على القلب الا كنت أنت المقدما
وان لا ترانى عند ما قد نهيتنى * لكونك فى قلبى كبيرا معظما

((ويحكى)) أن بعضهم كان اذا أصيب بشئ أو ابتلى به يقول خيرة فاتفق ليلة ان جاء ذئب فاكل ديكاله فقيل له به فقال خيرة ثم ضرب فى تلك الليلة كلبه فمات فقيل له فقال خيرة ثم نهق حماره فمات فقال خيرة فضاق أهله بكلامه هذا ذرعا فاتفق ان نزل بهم فى تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمير وهو قدمات له كل ذلك فكان هلاك هذه الاشياء سببا لنجاته فسبحان المدبر الحكيم وان العبد لا يشهد حسن تدبير الله الا اذا انكشفت له العواقب وليس هذا من مقام أهل الخصوص فى شئ لان أهل الفهم عن الله شهدوا حسن تدبير الله قبل أن تنكشف لهم العواقب وهم فى ذلك على أقسام ومراتب فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما عوده من جميل صنعه وجود لطفه * ومنهم من حسن ظنه بالله علما منه ان الاهتمام والتدبير والمنازعة لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له * ومنهم من حسن الظن بالله تعالى لقوله عليه السلام حاكيا عن ربه أنا عند ظن عبدى بى فكان متعاطيا بحسن الظن بالله وأسبابه رجاء ان يعامل بمثل ذلك فيكون الله له عند ظنه ولقد يسر الله للمؤمنين سبيل المنن اذ كان عند ظنونهم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وارفع من هذه المراتب كلها الاستسلام الى الله تعالى والتفويض له بما يستحقه الحق من ذلك لا لامر يعود على العبد فان المراتب الاول لم تخرج العبد عن رق العلل اذ من استسلم له بحسن عوائده فاستسلامه معلول بعوائد الالطاف السابقة فلو لم تكن لم يكن استسلامه والثانى أيضا كذلك لان ترك التدبير مع الله لكونه لا يجدى شيأ ليس هو تركا لاجل الله لان هذا العبد لو علم ان تدبيره يجدى شيأ فاعله كان غير تارك للتدبير وأما الذى استسلم الى الله تعالى وحسن ظنه به ليكون له عند ظنه فهو انما يسعى فى حظ نفسه مشفقا عليها ان يفوتها الفضل بعدوله عن الاستسلام وحسن الظن بالله ومن استسلم الى الله وحسن ظنه به لما هو عليه من عظمة الالاهية ونعوت الربوبية فهذا هو العبد الذى دل على حقيقة الامر وحرى ان يكون هذا من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان لله عبادا التسبيحة الواحدة منهم مثل جبل أحد ولقد عاهد الله سبحانه وتعالى العباد اجمع على اسقاط التدبير معه بقوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى لان اقرارهم بانه ربهم يستلزم ذلك اسقاط التدبير معه فهذه معاقدة كانت قبل ان تكون النفس التى هى محل الاضطراب المدبرة مع الله تعالى ولو بقى العبد على تلك الحالة الاولى التى هى كشف الغطاء ووجود الحضرة لما أمكنه أن يدبر مع الله فلما أسدل الحجاب وقع التدبير والاضطراب فلاجل ذلك أهل المعرفة بالله المشاهدون لاسرار الملكوت لا تدبير لهم مع الله اذ وجود المواجهة أبى لهم ذلك وفسخ عزائم تدبيرهم وكيف يدبر مع الله عبد هو فى حضرته ومشاهد

ذقت بها لذة الدنيا فتعالجها حتى لا يفوتك النظر الى مستحسناتها وترمد بصيرتك أربعين سنة فلا تعالجها واعلم ان عمرا ضيع أوله حرى ان تحفظ آخره كامرأة كان لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقى واحد أليست ترد وجدها على ذلك الواحد وأنت قد ضيعت أكثر عمرك فاحفظ بقيته وهى صبابة يسيرة والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى شتان بين أهل السعادة وأهل الشقاوة فاهل السعادة اذا رأوا انسانا على معصيته أنكروا عليه فى الظاهر ودعوا له فى الباطن وأهل الشقاوة ينكرون عليه تشفيا فيه وربما ثلموا عليه عرضه فالمؤمن من كان ناصحا لاخيه فى الخلوة ساترا له فى الجلوة وأهل الشقاوة بالعكس اذا رأوا انسانا على معصية أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها فهؤلاء لا تنور بصائرهم وهم عند الله مبعدون واذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر اليه اذا ذكرت له شخصا فان وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خلنا منه ذلك فعل كذا وكذا فاعلم ان باطنه خراب وليس له معرفة واذا رأيته

يذكره بخير أو يذكر له ما يوصف بالذم ويحمله على محمل حسن ويقول لعله سها أو له عذر أو ما أشبه ذلك فاعلم ان باطنه معمور فان المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم من قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته فليذكر بالاذكار الجامعة فانه اذا فعل ذلك صار العمر

لكبرياء عظمته ((فائدة)) اعلم ان التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك انا نظرنا فوجدنا ان آدم عليه السلام انما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه وذلك ان الشيطان قال لآدم وحواء عليهما السلام كما قال الله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ففكر آدم عليه السلام في نفسه فعلم ان الخلود في جوار الحبيب هو المطلوب الاسنى وانتقاله من الآدمية الى وصف الملكية اما ان يكون لان وصف الملكية أفضل أو ظن آدم عليه السلام ان ذلك أفضل فلما دبر عليه السلام في نفسه هذا التدبير أكل من الشجرة فما أتى الا من عين وجود التدبير وكان مراد الحق منه ذلك لينزله الى الارض ويستخلفه فيها فكان هبوطا في الصورة وترقيا في المعنى ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه وانما أنزله الى الارض ليكمله فلم يزل آدم عليه السلام راقيا الى الله تعالى تارة على معراج التقريب والتخصيص وتارة على معراج الذلة والمسكنة وهو في التحقيق أتم * ويجب على كل مؤمن أن يعتقد ان النبي والرسول لا ينتقلان من حالة الا الى حالة أكمل منها وافهم ههنا قوله سبحانه وتعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن عطية وللحالة الثانية خير لك من الاولى واذ قد عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة وكان قد سبق من تدبير مشيئته انه لابد ان يعمر الارض بني آدم وأن يكون منهم كما شاء منهم محسن وظالم لنفسه مبين وكان من تدبير حكمته ان لابد من تمام ذلك وظهوره الى عالم الشهادة فاراد الحق سبحانه ان يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله الى الارض ونزوله الى الارض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من عليهم بها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده الى يوم القيامة وكان نزوله الى الارض بحكم قضاء الله تعالى قبل أن يخلق السموات والارض ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه والله لقد أنزل الله آدم الى الارض قبل أن يخلقه كما قال سبحانه اني جاعل في الارض خليفة فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم أكله من الشجرة ونزوله الى الارض واكرام الله تعالى اياه بالخلافة والامامة واذ قد انتهى بنا المقال الى ههنا فلنتبع الفوائد والخصائص التي منحها آدم عليه السلام في هذه الواقعة لنعلم ان لاهل الخصوص مع الله حالا ليست لمن سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به لما عداهم ففي أكل آدم من الشجرة ونزوله الى الارض فوائد * منها ان آدم وحواء عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا اليهما بالرزق والعطاء والاحسان والنعماء فاراد الحق سبحانه وتعالى من خفي لطفه في تدبيره ان يأكلا من الشجرة ليتعرف لهما بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية اما الحلم فلأنه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا والحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة على ما صنعت بل يمهلك اما الى عفوه وانعامه واما الى سطوته وانتقامه (الثاني) هو ان الله سبحانه وتعالى تعرف لهما بالستر وذلك انهما لما أكلا منها وبدت لهما سوآتهما بزوال ملابس الجنة سترهما بورقها كما قال الله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكان ذلك من وجود ستره (الثالث) هو انه أراد الحق سبحانه وتعالى ان يعلمه باجتبائه له وينشأ عن اجتبائه مقامات التوبة اليه والهداية من عنده فاراد الحق سبحانه أن يعرف آدم عليه السلام باجتبائه له وسابق عنايته فيه فقضى عليه بأكل الشجرة ثم لم يجعل أكله اياها سببا لاعراضه عنه ولا لقطع مدده منه بل كان في ذلك اظهار وده سبحانه وتعالى فيه وعنايته به كما قالوا من سبقت له العناية لم تضره الجناية ورب ود تقطعه المخالفة والود الحقيقي هو الذي يدوم لك من الواد لك موافقا كنت أو مخالفا وليس في قوله تعالى ثم اجتباه ربه دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل كان قبل وجوده وانما الذي حدث بعد الذنب ظهور أثر الاجتبائية من الله له فهو الذي قال فيه الحق سبحانه وتعالى ثم اجتباه ربه أي أظهر له أثر الاجتبائية فيه والعناية به بتيسيره للتوبة اليه والهداية من عنده فصار في قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة التي هي نتيجتها

والهدى

القصير طويلا كقوله سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وكذلك من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك لو فعلت في جميع عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات لانك تصلي على قدر وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة كما جاء في الحديث الصحيح فما أحسن العيش اذا أطعت الله فيه بذكر الله تعالى أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى لان السارق لا يسرق بيتا وأهله ايقاظ بل على غفلة أو نوم من علم قرب رحيله أسرع في تحصيل الزاد ومن علم ان احسان غيره لا ينفعه جد في الاحسان ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر ومن وكل وكيلا واطلع على خيانته عزله كذلك نفسك قد أطلعت على خيانتها فاعزلها وضيق عليها المسالك اذا رأيت فيك الاعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك واذا رأيت فيك الانابة والخشية والزهد فهذا من صنائع الله مثال ذلك اذا رأيت ببلدك الحلفاء والشوك والعوسج فهذا نبات أرض بلدك واذا رأيت بها العود الرطب والمسك والعنبر فاعلم انه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرضك فالمسك من غزلان عراقها والعنبر من بحر هندها مثال الايمان معك اذا عصيت الله تعالى كالشمس المكسوفة أو كالسراج اذا

والهدى الذي هو نتيجة التوبة فافهم ثم أنزله الى الارض فتعرف له بحكمته كما تعرف له في الجنة ببواهر قدرته وذلك لان الدنيا محل الوسائط والاسباب فلما نزل آدم عليه السلام الى الارض علم الحراثة والزراعة وما يحتاج اليه من أسباب عيشته ليحققه الله تعالى بما أعلمه به من قبل ان ينزله بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى والمراد بقوله تعالى فتشقى تعب الظواهر لا الشقاوة التي هي ضد السعادة والدليل على ذلك قوله تعالى فتشقى ولم يقل فتشقيا لان المتاعب والكلف انما هي على الرجال دون النساء كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ولو كان المراد شقاء بالقطيعة أو وجود الحجبة لقال فتشقيا فدل الافراد على انه ليس الشقاء هنا بقطيعته ولا ابعاده مع انه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه الى المتاعب الظاهرة على التأويل *(فائدة جليلة)* اعلم ان أكله عليه السلام للشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا فاما ان يكون نسي الامر فتعاطى الاكل وهو له غير ذاكر وهو قول بعضهم ويحمل عليه قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما أو ان كان تناوله ذاكرا للامر فهو انما تناوله لانه قيل له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فلحبه في الله وشغفه به أحب ما يؤديه الى الخلود في جواره والبقاء عنده أو ما يؤديه الى الملكية لان آدم صلى الله عليه وسلم عاين قرب الملكية من الله فاحب ان يأكل من الشجرة لينال رتبة الملكية التي هي أفضل أو التي هي في ظنه كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضا أيهما أفضل الملكية أم النبوة لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال آدم عليه السلام ما ظننت ان أحدا يحلف بالله كاذبا فكان كما قال تعالى فدلاهما بغرور *(فائدة)* اعلم ان آدم عليه السلام لم يكن لشيء مما كان يأكله أذى بل كان رشحا كرشح المسك كما يكون أهل الجنة في الجنة اذا دخلوها لكنه لما أكل من الشجرة المنهي عنها أخذته بطنه فقيل له يا آدم أين على الاسرة أم على الجبال أم على شاطئ الانهار انزل الى الارض التي يمكن ذلك فيها فاذا كان ما به المعصية وصلت اليه آثارها فكيف لا تؤثر المعصية في الفاعل بها فافهم *(تنبيه واعتبار)* اعلم ان كل شيء نهى الله عنه فهو شجرة والجنة هي حضرة الله فيقال لآدم قلبك ولحواء نفسك ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين لكن آدم عليه السلام محفوف بالعناية فلما أكل من الشجرة انزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهي انزلت الى أرض القطيعة فافهم فان تناولت شجرة النهي أخرجت من جنة الموافقة الى وجود أرض القطيعة فيشقى قلبك وانما يلاقي الشقاء وقت القطيعة القلب لا النفس لان وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس من ملذوذاتها وشهواتها وانهماكها في غفلاتها *(ترتيب وبيان)* اعلم ان الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام بالايجاد فناداه يا قدير ثم تعرف له بتخصيص الارادة فناداه يا مريد ثم تعرف له بحكمه في نهيه عن أكل الشجرة فناداه يا حاكم ثم قضى عليه بأكلها فناداه يا قاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ أكلها فناداه يا حليم ثم لم يفضحه في ذلك فناداه يا ستار ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب ثم أشهده ان أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه فناداه يا ودود ثم أنزله الى الارض ويسر له أسباب المعيشة فناداه يا لطيف ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه يا معين ثم أشهده سر الاكل والنهي والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره على العدو والمكائد له فناداه يا نصير ثم ساعده على اعباء تكاليف العبودية فناداه يا ظهير فما أنزله الى الارض الا ليكمل له وجود التصريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكملت في آدم عليه السلام العبوديتان عبودية التصريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوفر احسانه اليه فافهم *(انعطاف)* اعلم ان أجل مقام أقيم العبد فيه مقام العبودية وكل المقامات انما هي كالخدمة لهذا المقام والدليل على ان العبودية أشرف مقام قول الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وما أنزلنا على عبدنا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا وانه

غطيته بصحفة هو موجود ولكن يمنع نوره الغطاء ثم انك تحضر المجالس في الجامع ليتوفر عقلك وان كان عمرك قليلا نصير كثيرا لحصول الايمان والخشوع والخضوع والخشية والتدبر والتذكر ونحوها فلو عرفت الايمان ما قاربت العصيان فلا غريم أمطل من النفس ولا عدو أعظم من الشيطان ولا معارض أقوى من الهوى ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر لان الغيث لا يقر الا على الارض المنخفضة لا فوق رؤس الجبال فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل الى قلوب المتواضعين والمراد بالمتكبرين من يرد الحق لا من يكون ثوبه حسنا ولكن الكبر بطر الحق يعني دفعه واحتقار الناس ولا تعتقد ان الكبر لا يكون الا في وزير أو صاحب دنيا بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلة وهو يفسد ولا يصلح لانه تكبر على خلق الله تعالى ولا تعتقد ان المنكوب من كان في الاسر أو في السجن بل المنكوب من عصى الله وأدخل في هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية كثير من انفق الدنانير والدراهم ولكن من أنفق الروح قليل الاحمق من مات ولده وجعل يبكي عليه ولا يبكي على ما فاته من الله عز وجل فكأنه يقول بلسان حاله أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي بل كان ينبغي له الفرح بذلك ويقبل على مولاه لانه أخذ منه ما كان يشغله عنه وقبيح بك ان تشيب وأنت طفل العقل صغيره ولا تفهم مراد الله منك فان كنت عاقلا فابك على نفسك قبل ان يبكي عليك فان الولد والزوجة والخادم والصديق لا يبكون عليك اذا مت بل يبكون على ما فاتهم منك فيما يفهم أنت

لماقام عبدالله يدعوه ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبياملكا أو نبياعبدا اختار العبودية لله تعالى ففى ذلك أدل دليل على انها من أفضل المقامات وأعظم القربات وقال صلى الله عليه وسلم انما أناعبد لا آكل متكئا انما أناعبدالله آكل كمايا كل العبيد وقال صلى الله عليه وسلم أناسيد ولد آدم ولا فخر * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة انما الفخر لى بالعبودية لله تعالى ولاجلها كان الايجاد وقال تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون والعبادة ظاهر العبودية والعبودية روحها واذقدفهمت هذافروح العبودية وسرها انما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الاقدار فتبين من هذا ان العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية فاذا كان لا يتم مقام العبودية الذى هو أشرف المقامات الابترك التدبير فحقيق على العبد أن يكون له تاركا وللتسليم لله تعالى وللتفويض له سالكا ليصل الى المقام الاكمل وللمنهج الافضل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه يقرأ و يخفض صوته وعمر رضى الله عنه يقرأو يرفع صوته فقال لابى بكرلم خفضت صوتك فقال قدأسمعت من ناجيت وقال لعمرلم رفعت صوتك فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابى بكرارفع قليلا وقال لعمراخفض قليلافكان شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى يقول ههنا أراد النبى عليه السلام ان يخرج كل واحدمنهما عن مراده لنفسه لمراده صلى الله عليه وسلم (تنبيه) تفطن رحمك الله لهذا الحديث تعلم منه ان الخروج عن الارادة هى أفضل العبادة لان أبابكر وعمر رضى الله عنهما كل واحدمنهماقدأبان لماسأله رسول الله عليه السلام عن صحة قصدهما وبعدذلك أخرجهمارسول الله عليه السلام عماأراداالانفسهمامع صحة قصده الى اختيار رسول الله عليه السلام *(فائدة)* اعلم ان بنى اسرائيل لمادخلوا التيه ورزقوا المن والسلوى واختارالله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم اياه يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولانصب فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود الف العادة والغيبة عن شهود تدبيرالله تعالى الى طلب ما كانوا يعتادونه فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوامصرافان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وذلك لانهم تركوا مااختارالله لهم مما يليق لما اختاروه لانفسهم فقيل لهم على طريق التوبيخ لهم أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فظاهر التفسير أتستبدلون الفوم والبصل والعدس بالمن والسلوى وليس النوعان سواء فى اللذة ولا فى سقوط المشقة وسر الاعتبار أتستبدلون مرادكم لانفسكم بمراد الله لكم أتستبدلون الذى هو أدنى وهو ماأردتموه بالذى هو خير وهوما أراد الله لكم اهبطوا مصرا فان ماأنتم اشتهيتموه لا يليق ان يكون الا فى الامصار وفى سر الاعتبار اهبطوا عن سماء التفويض وحسن الاختيار والتدبير منالكم الى أرض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولوان هذه الامة هى الكائنة فى التيه لماقالت مقال بنى اسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ اسرارهم ألا ترى ان بنى اسرائيل فى ابتداء الامر قالوا لموسى عليه السلام وهو كان سبب التيه لهم اذهب أنت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون وقالوا فى آخره ادع لنا ربك فاتوا فى الاول عن امتثال أمر الله وفى الآخر اختار والانفسهم غيرما اختارالله بهم وكثيرا ماتكرر منهم مايدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة وسواء الطريقة فى قولهم ارنا الله جهرة وفى قولهم لموسى عليه السلام بعد ولم ينشف بلل البحر من أقدامهم حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكانوا كما قال موسى عليه السلام قال انكم قوم تجهلون وكذلك قوله تعالى واذنتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وهذه الامة نتق فوق قلوبهم اجبال الهيبة والعظمة فاخذوا الكتاب بقوة الايمان فثبتوا لذلك وأبدوا لماهنالك وحفظوا

بالبكاء وقل يحق لى ان أبكى على فوات حظى من ربى قبل ان يبكوا على كفى بك جهلا ان يعاملك مولاك بالوفاء وأنت تعامله بالجفاء ليس الرجل من صاح بين الناس فى المجلس انما الرجل من صاح على نفسه وردها الى الله تعالى من غال هم الدنيا وترك هم الآخرة كان كمن جاءه أسد يفترسه ثم قرصه برغوث فاشتغل به عن الاسد فان من غفل عن الله تعالى اشتغل بالحقير ومن لم يغفل عنه لم يشغل الابه فاحسن أحوالك ان تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة يا طالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا ماأقبح الخوف بالجندى ماأقبح اللعن بالنحوى وما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها ليس الرجل من يريك لفظه انما الرجل من يريك لحظه (عن الشيخ) أبى العباس المرسى رضى الله عنه انه قال اذا كانت السلحفاة تربى افراخها بالنظر كذلك الشيخ يربى مريده بالنظر لان السلحفاة تبيض فى البر وتتوجه الى جانب النهر وتنظر الى بيضها فيربيهم الله لها بنظرها اليهم اياك ان تخرج من هذه الدار وماذقت حلاوة حبه ليس حلاوة حبه فى المآكل والمشارب لانه يشاركك فيها الكافر والدابة بل شارك الملائكة فى حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى لان الارواح لاتحتمل رشاش النفوس فاذا انغمست فى جيفة الدنيا لاتصلح للمحاضرة لان حضرة الله تعالى لايدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب وتب الى الله وارجع اليه بالانابة والذكر ومن أدام قرع الباب يفتح له ولولا الملاطفة ماقلنا لك ذلك لانه كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها متى أغلق هذا الباب حتى يفتح ولكن من

من عبادة العجل وغير ذلك لان الله تعالى اختار هذه الامة واختار لها واثنى عليها بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدولا خيارا فقد تبين لك من هذا ان التدبير والاختيار من أشد الذنوب والاوزار فاذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الاختيار وان أردت أن يكون لك حسن التدبير فلا تدع معه وجود التدبير وان أردت الوصول الى المراد فذلك بان لايكون معه مراد ولذلك لما قيل لابى يزيد ماتريد قال أريد أن لا أريد فلم تكن امنيته من الله ولا طلبته منه الا سقوط الارادة معه لعلمه انها أفضل الكرامات واجل القربات وقد يتفق للمخصص الكرامات الظاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه فالكرامة الكاملة الحقيقية انما هى ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان لمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ بالعلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله تعالى وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور * فاعلم ان الكرامة لاتكون كرامة حتى يصحبها الرضا عن الله ومن لازم الرضا عن الله ترك التدبير معه واسقاط الاختيار بين يديه * واعلم انه قد قال بعضهم ان أبا يزيد رحمه الله لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك لان أبا يزيد انما أراد ان لايريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو فى ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شئ واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم اللدنى وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فافاد الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن وارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه الله تعالى ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شئ وانما أنت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله ورسوله لك فافهم فقد علمت اذا ان أبا يزيد ماأراد ان لا يريد الا لان الله تعالى أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه فقد علمت ان الطريق الموصلة الى الله تعالى هى محو الارادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى ولن يصل الولى الى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول ولن يصل العبد الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى * يريد والله أعلم ان تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل أو لانه يشهد اذا قرب بان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه أن يكون أهلا لما هنالك فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا مللا ولا سلوا ولا اشتغالا عن الله تعالى بشئ دونه فاذا أردت الاشراق والتنوير فعليك باسقاط التدبير واسلك الى الله كما سلكوا تدرك ماأدركوا اسلك مسالكهم وانهج مناهجهم وألق عصاك فهذا جانب الوادى ولنا فى هذا المعنى فى ابتداء العمر مما كتبت به لبعض اخوانى

أياصاح هذا الركب قد سار مسرعا * ونحن قعود ما الذى أنت صانع
أترضى بان تبقى المخلف بعدهم * صريع الامانى والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بان جميع الكائنات قواطع
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ * رمى بالسوى لم تختدعه المطامع
ومن أبصر الاشياء والحق قبلها * فغيب مصنوعا عن هو صانع

ياهذا باب وصلك الى قربه واياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى فاول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته تعالى وما ذكره الذاكرون وفتح عليهم الا باستحضارهم ذلك وماطردوا الا بذكرهم مع غلبة الذهول عليهم وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج ولا زادك فى الله الا نعسك وماأكثر توددك للخلق وما أقل توددك للحق لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب ركعتان فى جوف الليل تودد عيادتك للمرضى تودد صلاتك على الجنائز تودد الصدقة على المساكين تودد اعانتك لاخيك المسلم تودد اماطتك الاذى عن الطريق تودد ولكن السيف المطروح يحتاج الى ساعد ولا عبادة انفع لك من الذكر لانه يمكن الشيخ الكبير والمريض الذى لا يستطيع القيام والركوع والسجود واعلم ان العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل الى الله تعالى هل رأيت مملوكا أول مايشترى يصلح للخدمة بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الادب فان صلح وعرف الادب قدمه للملك كذلك الاولياء رضى الله عنهم يصحبهم المريدون حتى يزجوا بهم الى الحضرة كالعوام اذا أراد ان يعلم الصبى العوم يحاذيه الى ان يصلح العوم وحده فاذا صلح زجه فى اللجة وتركه واياك ان تعتقد انه لا يتوسل بالانبياء والاولياء والصالحين فانهم وسيلة جعلها الله اليه لان كل كرامة للولى هى شهادة بصدق النبى لانها جرت على أيدى الاولياء مثل خرق العادات والمشى على الماء والطيران فى الهواء وأخبار الغيبات ونبع الماء ونحو ذلك لانهم لم يعطوا ذلك الا لاجلهم (عن الشيخ) أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه أنه قال كل نفسك وزنها بالصلاة فان

انتهت عن الحظوظ فاعلم انك سعدت والافابك على نفسك اذا حررت رحالك الى الصلاة جرا فهل رأيت حبيبا الا يريد لقاء حبيبه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن أراد أن يعرف حقيقته عند الله وينظر حاله مع الله فلينظر الى صلاته اما بالسكون والخشوع واما بالغفلة والعجلة فان لم تكن بالوصفين السابقين فاحث التراب على رأسك فان من جالس صاحب المسك عبق عليه من ريحه فان الصلاة مجالسة الله تعالى فاذا جالسته ولم يحصل لك منه شئ دل ذلك على مرض فيك وهو اما كبر أو عجب أو عدم أدب قال الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق فلا ينبغى لمن صلى أن يسرع الخروج بل يذكر الله تعالى ويستغفره من تقصيره فيها فرب صلاة لا تصلح للقبول فان استغفرت الله بعدها قبلت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر الله ثلاث مرات كم فيك من الكوامن فاذا أوردت عليها الواردات أظهرتها وأعظمها ذنبا الشك فى الله والشك فى الرزق شك فى الرازق الدنيا أحقر من أن يعال هم بها صغرت الهمم فعالت صغيرا فلو كنت كبيرا لعلت الكبير من عال الهم الصغير وترك الهم الكبير استغلنا عقله قم أنت بما يلزمك من وظائف العبودية وهو يقوم لك بما التزمه أيرزق الجعل والوزغ وبنات وردان وينسى أن يرزقك قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى كل من كان مراعيا لحق الله تعالى لا يحدث الله يحدثا فى المملكة الا أعلمه (نظر بعضهم الى جماعة) فقال هل فيكم من اذا أحدث الله سبحانه وتعالى مع

بواده أنوار لمن كان ذاهبا * وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الاكوان والنوزعمها * ففجر التدانى نحوك اليوم طالع
وكن عبده والق القياد لحكمه * واياك تدبيرا فما هو نافع
اتحكم تدبيرا وغيرك حاكم * أأنت لاحكام الاله تنازع
فمحو ارادة وكل مشيئة * هو الغرض الاقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الاولون فأدركوا * على أثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا * وما لمعت ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا * أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

اعلم وفقك الله ان لله عبادا خرجوا عن التدبير مع الله بتأديبه الذى أدبهم وبتعليمه الذى علمهم ففسخت الانوار عزائم تدبيرهم ودكت المعارف والاسرار جبال اختيارهم فنزلوا منزل الرضا فوجدوا نعيم المقام فاستغاثوا بالله واستصرخوا به خشية أن يشغلهم حلاوة الرضا فيميلوا اليها فيسا كنوها أو يجنحوا اليها بمرا كنة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى كنت فى ابتداء أمرى أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات فتارة أقول ألزم البرارى والقفار وتارة أقول أرجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار فوصف لى ولى من أولياء الله بأرض المغرب بجبل هنالك فطلعت اليه فوصلت اليه ليلا فكرهت ان أدخل عليه حينئذ فسمعته يقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فأعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فقلت يا نفس انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فاقمت حتى اذا كان الصباح دخلت عليه فسلمت عليه ثم قلت يا سيدى كيف حالك فقال اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت يا سيدى اما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله فقلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فأعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك فتبسم ثم قال يا بنى عوض ماتقول سخر لى خلقك قل يا رب كن لى أترى اذا كان لك أيغنوك بشئ فما هذا الجبن * (فائدة) * اعلم أن هلاك ابن نوح عليه السلام انما كان لاجل رجوعه الى تدبير نفسه وعدم رضاه بتدبير الله الذى اختاره لنوح عليه السلام ومن كان معه فى السفينة فقال له نوح عليه السلام يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم فاوى فى المعنى الى جبل عقله ثم كان الجبل الذى اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به فكان كما قال الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين فى الظاهر بالطوفان وفى الباطن بالحرمان فاعتبر أيها العبد بذلك فاذا تلاطمت عليك أمواج الاقدار فلا ترجع الى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين فى بحر القطيعة ولكن ارجع الى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه فانك اذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودى الامن ثم تهبط بسلامة القربة وبركات الوصلة عليك وعلى أمم ممن معك وهى عوالم وجودك فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين فقد علمت ان اسقاط التدبير والاختيار أهم ما يلتزمه الموقنون ويطلبه العابدون وأشرف ما يتحلى به العارفون * سألت بعض العارفين ونحن تجاه الكعبة فقلت له من أى الناحيتين يكون رجوعك فقال لى مع الله عادة ان لا تجاوز ارادتى قدمى * وقال بعض المشايخ لو أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار م بقيت أنا لم يقع عندى تمييز فى أى الدارين يكون قرارى فهذا حال عبد محيت اختياراته وارادته فلم يبق له

فى المملكة حدثا أعلمه قالوا لا فقال لهم ابكوا على أنفسكم كان المتقدمون من السلف رضى الله عنهم يسالون الشخص عن حاله ليستثيروا منه الشكر والناس اليوم ينبغى أن لا يسالوا فانك ان سألت تستثير الشكوى (عن بعض النباشين) انه تاب الى الله تعالى فقال يوما للشيخ يا سيدى نبشت ألف قبر فوجدت وجوههم محولة عن القبلة فقال الشيخ يا ولدى ذلك من شكهم فى رزقهم يا عبد الله اذا طلبت من الله فاطلب منه أن يصلحك من كل الوجوه وأن يصلحك بالرضا عنه فى تدبيره لك ثم انك عبد شرود طلب منك أن تعبر عليه ففررت منه فان الفرار يكون بالافعال والاحوال والهمم فاذا كنت فى صلاتك تسهو وفى صومك تلغو وفى لطف الله تشكو فأنت شارد (عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه) أنه قال بقيت مرة فى البادية ثلاثة أيام لم يصح لى شئ فجاز على بعض النصارى فرأونى متكئا فقال هذا قسيس من المسلمين فوضعوا عند رأسى شيأ من الطعام وانصرفوا فقلت يالعجب كيف رزقت على أيدى الاعداء ولم أرزق على أيدى الاحباء فقيل ليس الرجل من يرزق على أيدى الاحباء انما الرجل من يرزق على يد أعدائه يا هذا اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق ضربتها فرجعت الى الطريق ولو فعلت مع نفسك مثل ما تفعل بجبتك كلما توسخت غسلتها وكلما تقطع منها شئ رقعته وجددته كانت لك السعادة فرب رجل ابيضت لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب نفسه فيها (عن الشيخ مكين الدين) الاسمر رضى الله عنه انه قال كنت فى البداءة أحاسب نفسى

مع الله مراد الا ما أراد كما قال بعض السلف أصبحت وهواى فى مواقع قدر الله قال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى لى مذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته * وقال بعضهم لى مذ أربعين سنة أشتهى أن لا أشتهى لاترك ما أشتهى فلا أجد ما أشتهى فهذه قلوب تولى الله رعايتها وأوجب حمايتها ألم تسمع قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لان تحققهم بمقام العبودية أبى لهم الاختيار مع الربوبية وأن يقارفوا ذنبا وان يلابسوا عيبا وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فقلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساوس التدبير أو يردعليها وجود التكدير وفى الآية بيان ان من صح الايمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه لان الشيطان انما يأتيك من أحد وجهين اما بتشكيك فى الاعتقاد واما بركون الى الخلق والاعتماد فاما التشكيك فى الاعتقاد فالايمان ينفيه وأما السكون الى الخلق والاعتماد عليهم فالتوكل عليه ينفيه * (تنبيه) * اعلم أن المؤمن قد ترد عليه خواطر التدبير ولكن الله تعالى لا يدعه لذلك ولا يتركه لما هنالك ألم تسمع قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور * فالحق سبحانه وتعالى يخرج المؤمنين من ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض ويقذف بحق تثبيته على باطل اضطرابهم فيزلزل أركانه ويهدم بنيانه كما قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والمؤمن وان وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير فهى عابرة لا تثبت لها ومضمحلة لا وجود لها لان نور الايمان قد استقر فى قلوب المؤمنين وأخذت أنواره نفوسهم وملأ اشراقه قلوبهم وشرح ضياؤه صدورهم فأبى الايمان المستقر فى قلوبهم أن يسكن معه غيره وانما هى سنة وردت على القلوب امكن فيها ورود طيف التدبير ثم تتيقظ القلوب فيزول الطيف الذى لا يكون الا مناما قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وفى هذه الآية فوائد * (الفائدة الاولى) * قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون دل ذلك على ان أصل أمرهم على وجود السلامة منه وان عرض ذلك الطيف فى بعض الاحيان تعريفا بما أودع فيهم من ودائع الايمان * (الفائدة الثانية) * قوله تعالى اذا مسهم طائف ولم يقل اذا أمسكهم أو أخذهم لان المس ملامسة من غير تمكن فافادت هذه العبارة ان طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم بل يماسها مماسة ولا يتمكن منها امساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين لان الشيطان يستحوذ على الكافرين ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين حتى تنام العقول الحارسة للقلوب فاذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار الى الله تعالى فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه * (الفائدة الثالثة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان فالاشارة ههنا بالطيف الى ان الشيطان لا يمكنه ان يأتى الى القلوب الدائمة اليقظة لانه انما ورد طيف الغفلة والهوى على القلوب فى حين منامها بوجود غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه * (الفائدة الرابعة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف ولم يقل اذا مسهم وارد من الشيطان أو نحوه لان الطيف لا ثبت له ولا وجود له انما هو صورة مثالية ليس لها حقيقة وجودية فاخبر سبحانه وتعالى بذلك ان ذلك غير ضار بالمتقين لان ما يورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذى تراه فى منامك فاذا استيقظت فلا وجود له * (الفائدة الخامسة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ولم يقل ذكروا اشارة الى ان الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب انما يطردها التذكر والاعتبار وان لم تكن الا ذكار لان الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب وطيف الهوى لما ورد انما ورد على القلوب لا على الالسنة فالذى ينفيه انما هو التذكر الذى يحل محله ويمحق فعله * (الفائدة السادسة) * قوله تعالى تذكروا وحذف متعلقه ولم يقل تذكروا الجنة أو النار أو العقوبة أو غير ذلك وانما حذف متعلق تذكروا والفائدة جليلة وذلك ان

التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى يدخل فيها الانبياء والرسل والاولياء والصديقون والصالحون والمسلمون فتقوى كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك أيضا تذكر كل أحد على حسب مقامه فلو ذكر قسما من أقسام التذكر لم يدخل فيه الا أهل ذلك القسم فلو قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا العقوبة فاذاهم مبصرون لخرج عنه الذين تذكروا المثوبة ولو قال تذكروا سابق الاحسان لخرج منه الذين تذكروا لواحق الامتنان الى غير ذلك فاراد الحق سبحانه وتعالى ان لا يذكر متعلق التذكر ليشمل المراتب كلها فافهم *(الفائدة السابعة)* انه قال سبحانه فاذاهم مبصرون ولم يقل تذكروا فابصروا أو تذكروا ثم أبصروا أو تذكروا وابصروا فاما ترك التعبير بالواو فلانه كان لا يفيد ان التبصر كانت عن التذكر والمراد انها كانت مسببة عنه ترغيبا للعباد فيها واما عدوله عن ثم لان فيها ما في الواو من عدم الدلالة على السببية وفيها انها كانت تقتضي عكس المضي لما فيها من المهلة ومراد الحق سبحانه ان هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ولم يعبر بالفاء لاقتضائها التعقيب بل عبر الحق سبحانه بقوله تذكروا فاذاهم مبصرون كأنهم لم يزالوا على ذلك التبصر ثناء منه سبحانه عليهم واظهارا لوفور المنة لديهم كما تقول تذكر زيد المسئلة فاذا هي صحيحة أي انها لم تزل صحيحة وانها الآن صحيحة كما وقع العلم بها كذلك المتقون ما زالوا مبصرين ولكن حين ورود طيف الهوى عليهم غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم فلما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فاشرقت شمس البصيرة *(الفائدة الثامنة)* في هذه الآية ونظائرها توسعة على المتقين ولطف بالمؤمنين لانه لو قال ان الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان لخرج من ذلك كل أحد الا أهل العصمة فاراد سبحانه وتعالى ان يوسع دوائر رحمته فقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف ليعلمك ان ورود الطيف عليهم لا يخرجهم عن ثبوت حكم التقوى لهم وجريان اسمه عليهم اذا كانوا كما وصفهم مسرعين بالتذكر راجعين الى الله بالتبصر ومثل هذه الآية في بسط رجاء العباد والتوسعة عليهم قوله تعالى * ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * ولم يقل يحب الذين لا يذنبون لانه لو قال ذلك لم يدخل فيه الا القليل فعلم الحق سبحانه ما العباد مركبون عليه من وجود الغفلة وما تقتضيه النشأة الاولى الانسانية لكونها ركبت من امشاج من نوع المخالفة وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا قال بعض أهل العلم يعني لا يتمالك عند قيام الشهوة به وقد قال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فلاجل ما علم من ان الخطأ غالب على الانسان فتح له باب التوبة ودله عليها ودعاه اليها ووعده القبول اذا تاب والاقبال عليه اذا رجع اليه وآب وقال صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون فاعلمك صلى الله عليه وسلم ان الخطأ لازم وجودك بل عين وجودك وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولم يقل والذين لا يعملون الفاحشة وقال سبحانه وتعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل والذين لا يغضبون وقال سبحانه وتعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والذين لا غيظ لهم فافهم ذلك رحمك الله فهذه أسرار بينة وأمور متعينة *(الفائدة التاسعة)* تبيين مراتب المتذكرين من المتقين اعلم أن أهل التقوى اذا مسهم طيف من الشيطان لا يدعهم تقواهم للاصرار على معصية مولاهم بل يرجعهم اليه تذكرهم وتذكرهم على أقسام متذكر يتذكر الثواب ومتذكر يتذكر العقاب ومتذكر يتذكر الوقوف للحساب ومتذكر يتذكر ما في ترك المعصية من جزيل الثواب ومتذكر يتذكر سابق الاحسان فيستحي من وجود العصيان ومتذكر يتذكر لواحق الامتنان فيستحي أن يقابل ذلك بالكفران ومتذكر يتذكر قرب الله تعالى منه ومتذكر يتذكر احاطة الحق سبحانه ومتذكر يتذكر نظر الحق

عند المساء فاقول تكلمت اليوم بكذا وكذا فاجد ثلاث كلمات أو أربعا وكان عنده يوما شيخ عمره نحو تسعين سنة فقال له يا سيدي أشكو اليك كثرة الذنوب فقال له الشيخ هذا شيء لا نعرفه وما أعرف اني عملت ذنبا قط كأن للدنيا أبناء من استندا اليهم كفوه فكذلك ان للآخرة أبناء من استندا اليهم أغنوه ولا تقل ظلبنا فلم نجد فلو طلبت بصدق لوجدت وسبب عدم وجدانك عدم استعدادك فان العروس لا تجلى على فاجر فلو طلبت رؤية العروس لتركت الفجور ولو تركت الفجور لرأيت الاولياء والاولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا مددهم ولو نقص واحد منهم لنقص نور النبوة اذا أحببت حبيبا ان تصل اليه حتى تكون أهلا للوصول اليه وذلك حتى تتطهر عما أنت فيه من الرذائل (قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي) رضي الله عنه أولياء الله عرائس والعرائس لا يراها المجرمون اذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ولم تجد لها حلاوة في قلبك وتخف عليك المعصية وتجد لها حلاوة فاعلم انك لم تصدق في توبتك فانه لو صح الاصل لصح الفرع ليتك لو أطعت مولاك كما يطيعك عبدك فانك تحبه ناهضا في خدمتك دائما وأنت تحب الطاعة وتطلب أن تفرغ منها مسرعا كانك تنقر بالمناقير فياليت بصرا نظرت به محاسن الغير عوضت عنه العمى كم حصل لك الهوان بالوقوف على أبواب المخلوقين وكم أهانوك وأنت لا ترجع الى مولاك (عن الشيخ) مكين الدين الاسمر رضي الله عنه أنه قال رأيت في المنام حورية وهي تقول أنا لك وأنت لي قال فبقيت نحو شهرين أو ثلاثة لا أستطيع لمخلوق كلاما الا تقيأت لطيب كلامها كفاك من الادبار ان تفتح

اليه ومتذكر يتذكر معاهدة الله له ومتذكر يتذكر فناء لذته وبقاء مطالبته ومتذكر يتذكر وبال المخالفة وذلها فيكون لها تاركا ومتذكر يتذكر فوائد الموافقة وعزها فيكون لها سالكا ومتذكر يتذكر قيومية الحق به ومتذكر يتذكر عظمة الحق وسلطانه الى غير ذلك من تعلقات التذكر وهي لا حصر لها وانما ذكرنا ما ذكرنا منها تأنيسا لك باحوال المتقين وتنبيها على بعض مقامات المتبصرين فافهم (الفائدة العاشرة) يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف أن يكون المراد بالطيف ههنا طائف الهاجس أو الخاطر الوارد من وجود النفس بالقاء الشيطان وسمي طيفا لانه يطيف بالقلب وتفسره القراءة الاخرى اذا مسهم طائف من الشيطان فتكون احدى القراءتين مفسرة للاخرى والهاجس يطيف بالقلب فان وجد له مسلكا بثلمة يجدها في سور مقام اليقين دخل والا ذهب ومثل مقامات اليقين ونور اليقين الجامع لها كالاسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها فالاسوار هي الانوار وقلاعها هي مقامات اليقين التي هي دائرة بمدينة القلب فمن أحاط بقلبه سور يقينه وصح مقاماته التي هي أسوار الانوار كالقلاع فليس للشيطان اليه سبيل ولا له في داره مقيل ألم تسمع قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي لانهم قد صححوا العبودية لي فلا هم لحكمي منازعون ولا في تدبيري متعرضون بل على متوكلون والي مستسلمون فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر والحماية ووجهوا هممهم اليه فكفاهم من دونه قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله تعالى فكفانا من دونه * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول لما قال الحق تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب ان الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا هممهم الى عداوته فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أي أنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه ثم ذكر الحكاية المتقدمة فان استعاذوا من الشيطان فلاجل أن الله تعالى أمرهم بذلك لانهم يشهدون ان لغير الله من الحكم شيأ معه وكيف يشهدون لغيره حكما معه وهم يسمعونه يقول ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه وقال سبحانه وتعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين ونصرتهم النصر المبين فان استعاذوا من الشيطان فبامره وان استولوا بنور الايمان عليه فبوجود نصره وان سلموا من كيده لهم فبتاييده وبره * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اجتمعت برجل في سياحتي فاوصاني فقال لي ليس شيء في الاقوال أعون على الافعال من لا حول ولا قوة الا بالله وليس في الافعال أعون من الفرار الى الله والاعتصام بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ثم قال بسم الله فررت الى الله واعتصمت بالله ولا حول ولا قوة الا بالله ومن يغفر الذنوب الا الله بسم الله قول باللسان صدر عن القلب ففروا الى الله وصف الروح والسر واعتصمت بالله وصف العقل والنفس ولا حول ولا قوة الا بالله وصف الملك والامر ومن يغفر الذنوب الا الله رب أعوذ بك من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم يقول للشيطان هذا علم الله فيك وبالله آمنت وعليه توكلت وأعوذ بالله منك ولولا ما أمرني ما استعذت منك ومن أنت حتى أستعيذ بالله منك فقد فهمت رحمك الله ان الشيطان أحقر في قلوبهم أن يضيفوا اليه قدرة أو ينسبوا له ارادة * وسر الحكمة في ايجاد الشيطان أن يكون مظهرا ينسب اليه أسباب العصيان ووجود الكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله وما أنسانيه الا الشيطان هذا من عمل الشيطان فكان سر ايجاده ليمسح فيه أوساخ النسب ولذلك قال بعض العارفين الشيطان منديل هذه الدار يمسح به وسخ المعاصي وكل قبيح وخبيث ان الله تعالى لو شاء أن

عينيك في هذه الدار قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه قدر لك الصحة والمرض والغنى والفقر والفرح والحزن حتى تعرفه باوصافه من صحبك يوما أو يومين ولم ير منك نفعا تركك وصحب غيرك وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم تر منها نفعا فقل لها ارجعي يا نفس الى رضا ربك طالما وافقتك في الشهوات فتبدلي بعد البطالة بالاشتغال بالله وبعد الكلام بالصمت وبعد الوقوف بالحارات الجلوس بالخلوة وبعد الانس بالمخلوقين الانس بالخالق وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه اجعل بدل السهر في معصية الله السهر في طاعة الله وبعد الاقبال على أهل الدنيا الاعراض عنهم والاقبال على الله وبعد الاصغاء لكلامهم الاصغاء والاستماع لكلام الله عز وجل وذكره وبعد الاكل بالشره والشهوة الاكل القليل الذي يعينك على الطاعة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا انما عصى الله من لم يعرف عقابه وانما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ولو اطلعوا على ما أعد الله لاهل الجنة لما تركوها طرفة عين اذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك اليها واذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك الى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل كما تختار لنفسك المآكل الطيبة التي لا ضرر فيها والزوجة الحسنة لتتزوجها كذلك لا توادد الا من يعرفك الطريق الى الله سبحانه وتعالى واعلم ان لك ثلاثة أخلاء (أحدها) المال تفقده عند الموت (والثاني) العيال

لا يعصى لما خلق ابليس وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى الشيطان كالذكر والنفس كالانثى وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الاب والام لا أنهما أوجداه ولكن عنهما كان ظهوره ومعنى كلام الشيخ هذا أنه كما لا يشك عاقل ان الولد ليس من خلق الاب والام ولا من ايجادهما ونسب اليهما الظهور عنهما كذلك لا يشك مؤمن ان المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما فلظهورها عنهما نسبت اليهما فنسبة المعصية الى الشيطان والنفس نسبة اضافة واسناد ونسبتها الى الله نسبة خلق وايجاد كما أنه خالق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقال سبحانه وتعالى الله خالق كل شئ وقال سبحانه وتعالى هل من خالق غير الله وقال سبحانه وتعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * والآية القاصمة للمبتدعة المدعين ان الله يخلق الطاعة ولا يخلق المعصية قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فان قالوا فقد قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فالامر غير القضاء فان قالوا فقد قال الله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فهو على هذا التفصيل تعليم للعباد التأدب معه فامرنا ان نضيف المحاسن اليه لانها اللائقة بوجوده والمساوى الينا لانها اللائقة بوجودنا قياما بحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت ان أعيبها وقال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين ولم يقل الخضر فاراد ربك ان يعيبها كما قال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما فاضاف العيب الى نفسه والمحاسن الى سيده وكذلك ابراهيم عليه السلام لم يقل فاذا أمرضنى فهو يشفين بل قال واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه مع أن الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه فقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى خلقا وايجادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى اضافة واسنادا كما قال عليه السلام الخير بيديك والشر ليس اليك فقد علم عليه السلام ان الله خالق الخير والشر والنفع والضر ولكن التزم أدب التعبير فقال الخير بيديك والشر ليس اليك على ما بيناه فافهم فان قالوا ان الحق سبحانه منزه عن ان يخلق المعصية لانها قبيحة والحق سبحانه منزه ان يخلق القبائح قلنا المعصية فعل قبيح من العبد لانها مخالفة للامر اذ القبح لا يرجع الى ذات المنهى عنه ولكن لاجل تعلق النهى به كما ان الحسن لا يتعلق بذات المأمور به ولكن بمعنى تعلق الامر به فافهم ثم ان الحق تعالى يجب تنزيهه عن هذا التنزيه وذلك انهم اذا قالوا تعالى الله ان يخلق المعصية قلنا تعالى الله ان يكون فى ملكه ما لا يريد فافهم هدانا الله واياك الى الصراط المستقيم وأقامنا على الدين القويم بفضله

(تقرير وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير)

قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وقال ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل *وقال تعالى فله أسلموا وقال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن* وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين*وقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وقال وأنا أول المسلمين الى غير ذلك فاعلم ان هذا التكرار لذكر الاسلام تنويه لقدره وتفخيم لامره والاسلام له ظاهر وباطن فظاهره الموافقة لله تعالى وباطنه عدم المنازعة له فالاسلام حظ الهياكل وعدم المنازعة والاستسلام حظ القلوب فالاسلام كالصورة والاستسلام هو روح تلك الصورة فالاسلام ظاهر والاستسلام باطن ذلك الظاهر فالمسلم من أسلم نفسه الى الله فكان ظاهرا بامتثال أمره وباطنا بالاستسلام الى قهره وتحقيق مقام الاستسلام بعد المنازعة لله فى أحكامه والتفويض له فى نقضه وابرامه فمن ادعى الاسلام طولب بالاستسلام قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما قال

يتركونك عند القبر (والثالث) عملك لا يفارقك أبدا فاصحب من يدخل معك قبرك وتانس به فالعاقل من عقل عن الله أوامره ونواهيه مثالك كالجعل يعيش فى الروث والعذرة واذا قرب اليه الورد مات من رائحته فمن الناس من هو جعلى الهمة فراشى العقل فان الفراش لا يزال يرمى نفسه فى النار حتى تحرقه فكذلك أنت ترمى نفسك فى نار المعصية عمدا فلو أردت السير الى الله تعالى شددت الحزم فان الهمة انما تاكل لتعيش وتعيش لتأكل فان فعلت ذلك فمثالك على المداود كثير ومثالك فى الدواب كثير فان فعلت ذلك فان أسبق الخيل ما ضمر تقول هذه الليلة اقلل الاكل فاذا حضر الطعام كأنه حبيب مفارق ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الاقاويل قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ما أهربك من الهوان وما أوقعك فيه تهين نفسك وتلقيها فى مواطن الردى قال بعضهم كن مع الله كالطفل مع أمه كلما دفعته أمه ترامى عليها لا يعرف غيرها يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات بل تنتخب لدابتك العلف وتعامل الله بالمجازفة وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاض وتقعد عند الاكل متربعا وربما طولت فى الاكل واذا جئت الى الصلاة نقرتها نقر الديك والوساوس والخواطر الرديئة تاتيك فى صلاتك مثالك من هذه حالته كمن نصب نفسه للهدف وقعد فى الارماح والسهام تقصده من كل جانب أفما هذا أحق له مثالك اذا سمعت الحكمة ولم تعمل بها كمثل الذى يلبس الدرع ولا يقاتل الا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر قيمتك قيمة ما أنت

له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلما زج به فى المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت به أعلم فقال الحق سبحانه وتعالى اذهب اليه يا جبريل فان استغاث بك فاغثه والا فاتركنى وخليلى فلما جاءه جبرائيل عليه السلام فى أفق الهواء قال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فلم يستنصر بغير الله ولا جنحت همته بغير الله بل استسلم لحكم الله مكتفيا بتدبير الله له عن تدبيره لنفسه وبرعاية الحق له عن رعايته لها وبعلم الحق سبحانه عن سؤاله علما منه ان الحق به لطيف فى جميع أحواله فاثنى الله تعالى عليه بقوله وابراهيم الذى وفى ونجاه من النار فقال تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال أهل العلم لو لم يقل الحق سبحانه وسلاما لاهلكه بردها نخمدت تلك النار وقال أهل العلم باخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبق فى ذلك الوقت نار بمشارق الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة أنها المعنية بالخطاب فقيل انه لم تحرق النار منه الا قيده *(فائدة جليلة)* انظر الى قول ابراهيم عليه السلام لما قال له جبرائيل عليه السلام ألك حاجة قال أما اليك فلا ولم يقل ليس لى حاجة لان مقام الرسالة والخلة يقتضى القيام بصريح العبودية ومن لازم مقام العبودية اظهار الحاجة الى الله تعالى والقيام بين يديه بوصف الفاقة اليه ورفع الهمة عما سواه فناسب ذلك أن يقول أما اليك فلا أى انا محتاج الى الله وأما اليك فلا فجمع فى كلامه هذا اظهار الفاقة الى الله ورفع الهمة عما سواه لا كما قال بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا يكون له الى الله حاجة وهذا كلام لا يليق باهل الاقتداء المكملين مع انه مؤول لقائله بان مراده ان الصوفى قد تحقق بان الله قد قضى حوائجه من قبل أن يخلقه فليس له الى الله حاجة الا وهى مقضية فى الازل ولا يلزم من نفى الحاجة نفى الاحتياج * والتأويل الثانى انما قال لا يكون له الى الله حاجة أى انه انما يطلبه وليس همته الطلب منه وشتان بين طالب الله وطالب من الله وقد يكون مراده بقوله حتى لا يكون له الى الله حاجة أنه مفوض الى الله مستسلم له فليس له مع الله مراد الا ما أراد *(فائدة جليلة)* أيضا وذلك أن جبرائيل عليه السلام لما قال لابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قيل علم جبرائيل عليه السلام انه لا يستغيث به وان قلبه لا يشهد الا الله عز وجل وحده فقال له حينئذ سله أى ان لم تستغث بى التزاما منك عدم التمسك بالوسائط فسل ربك فانه أقرب اليك منى فقال ابراهيم عليه السلام مجيبا له حسبى من سؤالى علمه بحالى أى انى نظرت فرأيته أقرب الى من سؤالى ورأيت سؤالى من الوسائط وانا لا أريد ان أتمسك بشئ دونه ولانى علمت ان الحق سبحانه وتعالى عالم فلا يحتاج ان يذكر بسؤال ولا يجوز عليه الاهمال فاكتفيت بعلم الله عن السؤال وعلمت انه لا يدعنى من لطفه فى كل حال وهذا هو الاكتفاء بالله تعالى والقيام بحقوق حسبى الله *وكان شيخنا أبو العباس رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى قال وفى بمقتضى قوله حسبى الله وقال بعضهم سلم طعامه للضيفان وولده للقربان وجسده للنيران فاثنى الحق عليه بقوله وابراهيم الذى وفى *(فائدة جليلة)* اعلم ان الملائكة لما قال لهم الحق سبحانه وتعالى انى جاعل فى الارض خليفة يعنى آدم وذريته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون فكان عدم استغاثة ابراهيم عليه السلام بجبرائيل عليه السلام فى ذلك الموطن احتجاجا من الله عليهم كأنه يقول كيف رأيتم عبدى هذا يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فظهر بذلك قوله سبحانه وتعالى انى أعلم ما لا تعلمون *جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادى فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كأن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف تركتم عبادى فكان مراد الحق سبحانه وتعالى بارسال

مشغول به فان اشتغلت فى الدنيا فلا قيمة لك لان الدنيا كالجيفة لا قيمة لها أفضل ما يطلب العبد من الله ان يكون مستقيما معه قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فاطلب منه الهداية والاستقامة وهو أن تكون مع الله فى كل حال بالذى يرضاه لك وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى من بذل لله صرف الود سقاه الله صرف الكرم مثال السالك كمن يحفر على الماء قليلا قليلا حتى يجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب ومثال المجذوب كمن أراد الماء فامطرت له سحابة فاخذ منها ما يحتاج اليه من غير تعب اذا أعطيت نفسك كلما تشتهى وتطلب من الشهوات كنت كمن فى بيته حية يسمنها كل يوم حتى تقتله ولو جعل فيك الروح من غير نفس لا طعت وما عصيت ولو جعل فيك النفس من غير روح لعصيت وما أطعت فلذلك جعل فيك القلب والروح والنفس والهوى كالنحلة جعل فيها اللسعة والعسل فلذلك تتلون فالعسل ببره واللسع بقهره فاراد الله ان يكسر دعوة النفس بوجود القلب ودعوى القلب بوجود النفس يا عبد الله طلب منك أن تكون له عبدا فابيت أن تكون الا ضدا اقبالك على الله افرادك له بالعبادة فكيف يرضى لك أن تعبد غيره فلو أتيتنا تطلب العطاء منا ما أنصفتنا فكيف ترضى اذا أقبلت على من سوانا وقفت الدنيا فى طريق الآخرة فصرفت الوصول اليها ووقفت الآخرة فى طريق الحق فمنعت الوصول اليه ان من لطف الله بك أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس اذا أعطيت الدنيا ومنعت الشكر فيها فهى محنة فى حقك قال رسول الله صلى الله عليه

جبرائيل عليه السلام اظهار رتبة الخليل عند ملائكته وتبيينا لشرف قدره وفخامة أمره وكيف يمكن ابراهيم عليه السلام ان يستغيث بشئ دونه وهو لا يرى الا اياه ولا يشهد سواه وانما سمى الخليل خليلا لانه تخلل سره بمحبة الله وعظمته وأحديته فلم يبق فيه متسع لغيره كما قيل

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا
فاذا مانطقت كنت كلامى * واذا ماصمت كنت الغليلا

(تنبيه واعلام) اعلم ان الحق سبحانه وتعالى بسط سر ابراهيم عليه السلام بنور الرضا واعطاه روح الاستسلام وصان قلبه عن النظر الى الانام فما كانت النار عليه بردا وسلاما الالما كان قلبه مفوضا الى الله استسلاما فعن الاستسلام كان عليه السلام وعن تصحيح باطن المقام كان ماظهر عليه من الاجلال والاعظام فافهم من ذلك أيها المؤمن أن من استسلم الى الله فى واردات الامتحان أعاد الله عليه شوكها ريحانا وخوفها أمانا فاذا قذفك الشيطان فى منجنيق الامتحان فعرضت لك الاكوان قائلة ألك حاجة فقل أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فان قالت لك سله فقل حسبى من سؤالى علمه بحالى فان الله يعيد عليك نار الدنيا بردا وسلاما ويعطيك منة واكراما لان الله سبحانه وتعالى فتح بالانبياء والرسل سبيل الهدى فسلك وراءهم المؤمنون والتزم اتباعهم الموقنون كما قال سبحانه وتعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وقال فى شأن يونس عليه السلام فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين أى كذلك ننجى المؤمنين المتبعين لآثاره المتشوقين لانواره الطالبين من الله بالذلة والافتقار واللابسين شعار المسكنة والانكسار

(انعطاف) فى قصة ابراهيم عليه السلام هذه بيان للمعتبرين وهداية للمتبصرين وهو أن من خرج عن تدبيره لنفسه كان الله سبحانه وتعالى هو المتولى بحسن التدبير له ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها الى الله تعالى وأسلمها اليه وتوكل فى كل شأنه عليه فلما كان كذلك كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والاكرام وبقاء الثناء عليه على ممر الايام وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته وان نرعى حق تسميته بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل فحق على كل من كان ابراهيميا أن يكون عن تدبيره لنفسه بريا ومن منازعة الله خليا ومن اعتراضه عريا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وملته لازمها التفويض الى الله تعالى والاستسلام فى واردات الاحكام واعلم ان المراد أن لا يكون لك مع الله مراد ولنا فى هذا المعنى شعر

مرادى منك نسيان المراد * اذا رمت السبيل الى الرشاد
وأن تدع الوجود فلا تراه * وتصبح ماسكا حبل اعتماد
الى كم غفلة عنى وانى * على حفظ الرعاية والوداد
الى كم أنت تنظر مبدعاتى * وتصبح هائما فى كل وادى
وتترك أن تميل الى جنابى * لعمرك قد عدلت عن السداد
وودى فيك لو تدرى قديم * ويوم ألست يشهد بانفرادى
فهل رب سواى فترتجيه * غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا * فمفتقر بمفتقر ينادى
فبى قد قامت الاكوان طرا * وأظهرت المظاهر من مرادى
أفى دارى وفى ملكى وملكى * توجه للسوى وجه اعتماد
فحدق أعين الايمان وانظر * ترى الاكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم الى عدم مصير * وأنت الى الفنا لاشك غاد

وسلم قليل الدنيا يلهى عن طريق الآخرة كان لبعضهم زوجة فقالت له يوما لا أقدر على أن تغيب عنى ولا أن تشتغل بغيرى فنودى اذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهى تحب أن تجمع قلبك عليها فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك على كنت مرة عند الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه فقلت فى نفسى أشياء فقال الشيخ ان كانت النفس لك فاصنع بها ماشئت ولن تستطيع ذلك ثم قال النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك فسلمها الى ربها يفعل بها مايشاء فربما تعبت فى تربيتها فلا تنقاد لك فالمسلم من أسلم نفسه الى الله بدليل قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة اذا أحببتك مولاك أعرض عنك أصحابك حتى لا تشتغل بهم عنه وقطع علائقك من المخلوقين حتى ترجع اليه كم تطالب نفسك الى الطاعة وهى تتقاعد انما تحتاج الى معالجة نفسك فى الابتداء فاذا ذاقت المنة جاءت اختيارا فالحلاوة التى كانت تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة مثال الايمان فى القلب كالشجرة الخضراء فاذا كثرت عليها المعاصى يبست وفرغ امدادها فمن أحب القيام بالواجبات فليترك المحرمات ومن ترك المكروهات أعين على تحصيل الخيرات ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها عقله وأباح له حضرته ومن ترك استماع ماحرم عليه كلامه ولكن ما أهون الغرابة التى فيها هوى نفسك وها أخلى عليك وما أثقل ماليس فيه هوى كمثاله أن تجيء تنفلا فان قيل لك تصدق بذلك شق عليك لان أمر الحج يرى فالنفس فيه حظ والصدقة تطوى

وهاخاطى عليك فلا تزلها * وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابى أوقف الآمال طرا * ولا تاتى لحضرتنا بزاد
ووصفك فالزمنه وكن ذليلا * ترى منى المنى طوع القياد
وكن عبدا لنا والعبد يرضى * بما تقضى الموالى من مراد
أأستر وصفك الادنى بوصفى * فتجزى ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتنى فى الملك حتى * غدوت منازعى والرشد باد
فان رمت الوصول الى جنابى * فهذى النفس فاحذرها وعاد
وخض بحر الفناء عسى ترانا * وأعددنا الى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا التلقى * جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهد يومامن سوانا * فما أحد سوانا اليوم هاد

(تنبيه واعلام) اعلم أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه كالتدبير فى تحصيل معصية أو فى حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو ذلك وهذا كله مذموم لانه اما أن يوجب عقابا أو يوجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحى من الله أن يصرف عقله الى تدبير مالا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل أفضل مامن الله به على عباده لانه سبحانه وتعالى خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد وبدوام الامداد فهما نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد وربما يفهم من ههنا قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ لكن لما اشتركت الموجودات فى ايجاده وامداده أراد الحق تعالى أن يميز بعضها على بعض ليظهر سعة تعلقات ارادته واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات والحيوان البهيمى والآدمى فظهرت القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها فى الموجودات الغير نامية فلما اشتركت هذه الثلاثة فى النمو أفرد الحيوان الآدمى وغير الآدمى بوجود الحياة فشارك الآدمى فى ذلك الحيوان البهيمى فظهر بقدرته فيه ظهورا أجلى من ظهوره فى الناميات فاراد أن يميز الآدمى عنه فاعطاه العقل وفضله لذلك على الحيوان وكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التى لا قدر لها عند الله كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه فى معاده قياما بوجود شكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذى من به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما أخبر عنها النبى عليه السلام بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال صلى الله عليه وسلم للضحاك ماطعامك قال اللحم واللبن يارسول الله قال ثم يعود الى ماذا قال ما علمت يارسول الله قال فان الله جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء * ومثل من صرف عقله فى تدبير الدنيا التى هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره مفخما أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقتل به أعداءه ويتزين بحمله فعمد آخذ هذا السيف الى الجيف فجعل يضرب بها حتى تغلل ضياؤه وكل شباه وتغير حسنه وسناه فجدير اذا اطلع الملك على هذه الحالة منه ان ياخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله وأن يمنعه من وجود اقباله فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله كالتدبير فى براءة الذمم من حقوق المخلوقين اما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدى الى قمع الهوى المردى والشيطان المغوى وكل ذلك محمود ولا شك فيه ولاجل ذلك قال رسول الله عليه السلام فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير

وتنسى وكذلك درسك العلم لغير الله فانك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك فاذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك عليك لان الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ والقراءة والدرس للنفس فيهما حظ مشاركة للناس فلاجل ذلك خفف عليها (قال بعضهم) تاقت نفسى الى الزواج فرأيت المحراب قد انشق وخرج منه نعل من ذهب مكلل باللؤلؤ فقيل لى هذا نعله فكيف وجهها فانقطعت شهوة النكاح من قلبى من هيئت له المنازل لم يرض له بالقعود على المزابل فاعمل الاعمال الصالحات بينك وبين الله سرا ولا تطلع عليه أهلك واجعله مدخرا عند الله تجده يوم القيامة فان النفس لها تمتع بذكر العمل صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله لا تنفق انفاسك فى غير طاعة الله ولا تنظر الى صغير النفس بل انظر الى مقداره والى مايعطى الله العبد فالانفاس جواهر وهل رأيت أحدا رمى جوهرة على مزبلة أفتصلح ظاهرك وتفسد باطنك فمثالك كالمجذوم لبس ثيابا جديدة ويخرج منه فى الباطن القيح والصديد فانت تصلح ما ينظر اليه الناس ولا تصلح قلبك الذى هو لربك الحكمة كالقيدان قيدت بها نفسك امتنعت وان رميتها تسيبت ويخاف عليك مثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويقطع الثياب فاذا قيدته استرحت واذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باق يا أيها الشيخ قد أفنيت عمرك فاستدرك مافاتك قد لبست البياض وهو الشيب والبياض لا يحمل الدنس مثال القلب كالمرآة ومثال النفس كالنفس كلما تنفست النفس على المرآة تسودت قلب الفاجر كمرآة العجوز التى ضعفت

الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا وكلما ازداد فيها شيأ ازداد غفلة واغترارا وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالا ولينعم بها على ذوي الفاقة افضالا وليصون بها وجهه عن الناس اجمالا وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والاسعاف منها والايثار وللزاهد في الدنيا علامتان علامة في فقدها وعلامة في وجدها فالعلامة التي في وجدها الايثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان لان الحق تعالى كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها بل نعمته في صرفها أتم * قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لنعمة الله علي فيما زوى عني من الدنيا أتم من نعمته علي فيما أعطاني منها * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد فقد تبين من هذا ان ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة والسلف الصالحين رضي الله عنهم فكلما دخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك الى الله متقربون والى رضاه مسببون لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذتها وبذلك وصفهم الحق تعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال في الآية الاخرى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وبقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ونظائر هذه الآيات وما ظنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى وايادلا تنسى لانهم هم الذين حملوا الينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة والاحكام وبينوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد ويحق ما قال رسول الله عليه السلام فيهم * أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم في الآية الاولى باوصاف الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا فقد أخبر سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم في سرهم واجهارهم انهم ما ابتغوا بما حاولوه الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجه الله الكريم وفضله العميم وقد قال سبحانه وتعالى فيهم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقد أخبر سبحانه انهم لا يريدون سواه ولا يقصدون الاياه وقال في الآية الاخرى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اشارة الى انه قد طهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلذلك لا تأخذ الدنيا قلوبهم ولا تخدش وجه ايمانهم وكيف تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه وأشرق فيها أنوار قربه وقد قال سبحانه وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا اذ لا يمكن الشيطان أن يصل الى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد وكنست من أوساخ الرغبة فقوله سبحانه وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي ليس لك ولا لشئ من الاكوان على قلوبهم سلطان لان سلطان عظمتي في قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشئ دوني فاثبت الحق سبحانه وتعالى لهم في هذه الآية انهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولم ينف عنهم انهم لا يتجرون ولا يبيعون بل في الآية

مايدل

همتها أن تجلوها وتنظر فيها وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها فلا تزال مصقولة همة الزاهدين في كثرة الاعمال وهمة العارفين في تصحيح الاحوال أربعة تعينك على جلاء قلبك كثرة الذكر ولزوم الصمت والخلوة وقلة المطعم والمشرب أهل الغفلة اذا أصبحوا يتفقدون أموالهم وأهل الزهد والعبادة يتفقدون أحوالهم وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل ما من نفس يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو مرض أو فاقة الا وهو يريد أن يختبرك بذلك ومن طلب الدنيا بطريق الآخرة كان كمن أخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة فما بعد هذا أحمق لا تعتقد ان الناس فاتهم العلم بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم أول ما ينبغي لك أن تبكي على عقلك فكما يقع القحط في الكلأ يقع في عقول الرجال وبالعقل عاش الناس مع الناس ومع الله تعالى مع الناس بحسن الخلق ومع الله باتباع مرضاته ان من عليك بثلاثة فقد من عليك بالنعمة الكبرى (الاولى) الوقوف على حدوده (والثانية) الوفاء بعهوده (والثالثة) الغرق في شهوده وما سبب استغرابك لاحوال العارفين الا استغراقك في القطيعة ولو شاركتهم في الاسفار لشاركتهم في الاخبار ولو شاركتهم في العنا لشاركتهم في الهنا ما شأن نفسك وقت الرضا الا كالبعير المعقول فاذا سيبته انطلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر على النار اذا غلت فكم من كان في جمع مع الله أتته الفرقة في نفس واحد وكم من بات في طاعة الله ما طلعت عليه الشمس حتى دخل في القطيعة فالقلب بمثابة العين والعين لا ترى

مايدل على جواز البيع والتجارة من فحوى الخطاب اذا تدبرته تدبر أولي الالباب ألم تسمع قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة فلو نهاهم عن الغنى لنهاهم عن التسبب المؤدي اليه وهو التجارة والبيع ألا ترى انه قال وايتاء الزكاة فايجابه الزكاة عليهم دليل على ان هؤلاء الرجال التي هذه الاوصاف أوصافهم قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا فيه بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان ابن عفان رضي الله عنه يوم قتل عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم وخلف ضياعا بين أريس وخيبر ووادي القرى قيمته مائتا ألف دينار وبلغ ثمن مال الزبير رضي الله عنه خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف عمرو بن العاص رضي الله عنه ثلاثمائة ألف دينار وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ومن ههنا يفهم منعهم عن الجهاد في أول الامر بقوله تعالى لهم فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره لانه لو أبيح لهم الجهاد في أول الاسلام فلعل الذي هو حديث عهد بالاسلام لو أطلق لهم الجهاد أن يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر حتى كان علي رضي الله عنه اذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة ثم يضرب بعد ذلك خشية أن يضرب عقبها فيكون في ذلك مشاركة من حظه وذلك لمعرفته رضي الله عنه بدسائس النفوس وكمائنها وعظيم حراستهم لقلوبهم وتخليص أعمالهم واشفاقهم أن يكون في عملهم شئ لم يرد به وجه الله تعالى فكانت الدنيا في أيدي الصحابة رضي الله عنهم لا في قلوبهم ويدل على ذلك خروجهم عنها وايثارهم بها وهم الذين قال الحق فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى انه أهدي لانسان منهم رأس شاة فقال فلان أحق بها مني ثم قال الآخر ذلك كذلك فما زالوا يتهادونها الى أن عادت الى الذي أهداها أولا بعد ان طافت على سبعة أو نحوهم ويكفيك في ذلك خروج عمر رضي الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بعير موقرة الاحمال وتجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسني أحوالهم * وتضمنت الآية الاخرى وهي قوله سبحانه وتعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا الاخبار عنهم بسر الصدق الذي لا يطلع عليه أحد الا الحق سبحانه وتعالى وذلك ثناء عظيم وفخر جسيم لان ظواهر الافعال قد تلبس فيها الاحوال فيما يرجع الى علم العباد فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم * فقد تبين من هذا أن تدبير الدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين ويدلك على ذلك قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وأنا في صلاتي لان تدبير عمر رضي الله عنه على المعاينة والمواجهة فهو اذا تدبير لله فلذلك لم يكن قاطعا صلاته ولا منقصا من كمالها * فان قلت قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق سبحانه وتعالى في شأنهم يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نظن أن أحدا منا يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * فاعلم وفقك الله للفهم عنه وجعلك من أهل الاستماع منه أنه يجب على كل مؤمن أن يظن بالصحابة الظن الجميل وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل وأن يلتمس لهم أحسن المخارج في أقوالهم وأفعالهم وفي جميع أحوالهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته لان الحق سبحانه

بها كالهابل بمقدار العدسة منها وكذلك القلب لا تراد منه اللحمانية بل اللطيفة التي أودعها الله فيه وهي المدركة وجعل الله القلب معلقا في الجانب الايسر كالدلو فان هب عليه هوى الشهوة حركه وان هب عليه خاطر التقوى حركه فتارة يغلب عليه خاطر الهوى وتارة يغلب عليه خاطر التقى حتى يعرفك مرة منه ومرة قهره فمرة يغلب عليه خاطر التقى ليمدحك ومرة يغلب عليه خاطر الهوى ليذمك فالقلب بمثابة السقف فاذا أوقد في البيت نار صعد الدخان الى السقف فسوده فكذلك دخان الشهوة اذا نبت في البدن صعد دخانه الى القلب فسوده اذا ظلمك القوي فارجع الى القوي ولا تخف منه فيسلط عليك مثال من يشهد الضرر من المخلوقين كمن ضرب الكلب بحجر فاقبل الكلب على الحجر يعضه ولا يعرف أن الحجر ليس بفاعل فيكون هو والكلب سواء مثال من يشهد الاحسان من المخلوقين كالدابة اذا رأت سايسها بصبصت ويدنو اليها مالكها فلا تلقى اليه بالا فان كنت عاقلا فاشهد الاشياء من الله عز وجل ولا تشهدها من غيره ليس التائه من تاه في البرية بل التائه من تاه عن سبيل الهدى تطلب العز من الناس ولا تطلبه من الله فمن طلبه من الناس فقد أخطأ الطريق ومن أخطأ الطريق لم يزده سيره الا بعدا فهذا هو التائه حقا اذا قلت لا اله الا الله طالبك الله بها وبحقها وهو أن لا تنسب الاشياء الا اليه مثال القلب اذا سلمته الى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما ومثال النفس اذا سلمتها القلب كمن أسلم نفسه الى عوام قوي فسلمها له فلا تكن

وتعالى لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن وكذلك تزكية رسول الله عليه السلام لهم بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم * وعن هذه الآية جوابان أحدهما منكم من يريد الدنيا للآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها بذلا وإيثارا ومنكم من لم يكن ذلك مراده إنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير فلم يلو على الغنائم ولم يلتفت إليها فمنهم الفاضل ومنهم الأفضل ومنهم الكامل ومنهم الأكمل * الجواب الثاني أن السيد يقول لعبده ما شاء وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه فليس كما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد ولا أن نخاطبه به إذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء تحريضا للعبد وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا أن نلزم حدود الأدب معه وإن تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا منها سورة عبس حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو كان رسول الله عليه السلام كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه السورة * فقد تقرر من هذا أنه ليس إسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول في أسباب الدنيا والفكرة في مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لأخراه وإنما التدبير المنهي عنه هو التدبير فيها لها وعلامة ذلك أن تعصي الله تعالى من أجلها وإن تأخذها كيف كان من حلها أو غير حلها (فائدة) اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو ما ليس كذلك مما يؤديك إلى القرب من الله تعالى ويوصلك إلى مرضاة الله وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الإطلاق ولا تمدح كذلك وإنما المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك الاستعداد لأخراك كما قال بعض العارفين كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والممدوح ما أعانك على طاعته وأنهضك إلى خدمته وبالجملة ما وقع المدح به فهو ممدوح في نفسه وما وقع الذم به فهو مذموم في نفسه * وقد جاء عن رسول الله عليه السلام الدنيا جيفة قذرة مذرة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وقال صلى الله عليه وسلم إن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فهذه الأحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد عنها وجاء عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فالدنيا التي لعنها رسول الله عليه السلام هي الدنيا الشاغلة عن الله تعالى ولذلك استثنى في الحديث فقال إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم فبين عليه السلام أن هذا ليس من الدنيا وقوله عليه السلام لا تسبوا الدنيا أي التي توصلكم إلى طاعة الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فنعمت مطية المؤمن فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث إنها دار اغترار ووجود أوزار وإذ قد علمت هذا فقد فهمت أن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الإنسان ضيعة فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله في إثبات الأسباب وارتباط الوسائط * وقد جاء عن عيسى عليه السلام أنه مر بمتعبد فقال له من أين تأكل فقال أخي يطعمني فقال أخوك أعبد منك أي أخوك وإن كان في سوقه أعبد منك لأنه هو الذي أعانك على الطاعة وفرغك لها وكيف يمكن أن ينكر الدخول في الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى وأحل الله البيع وحرم الربا وقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وقوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه وإن داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه وقوله عليه السلام أفضل الكسب عمل الصانع بيده إذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة فكيف يمكن أحدا بعد هذا أن يذم الأسباب لكن المذموم منها ما شغلك عن الله وصدك عن معاملته ولو تركت هذه الأسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموما أيضا وليست الآفات داخلة على المتسببين فحسب بل قد تدخل على المتجردين كما تدخل على المتسببين لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد إذ الآفات الداخلة على المتسببين دخول في الدنيا مع عدم الدعوى منهم ظاهرهم كباطنهم مع اعترافهم بالتقصير ومعرفتهم بفضل المتفرغين

لطاعة

تكن أسلم قلبه إلى نفسه فهل رأيت بصيرا قلد نفسه إلى أعمى يقوده إن أمكنك أن تصبح وتمسي وما ظلمت أحدا من العباد فأنت سعيد فإن لم تظلم نفسك فيما بينك وبين الله فقد تكملت لك السعادة فأغلق عينيك وسد أذنيك وإياك وإياك وظلم العباد ما مثالك في صغر عقلك وكونك لا تعلم ما عليك من الملابس إلا كالمولود تكسوه أمه أحسن الملابس وأفخرها وهو لا يشعر ربما دنسها ونجسها فتسرع إليه أمه وتكسوه أخرى لئلا يراه الناس كذلك وتغسل ما نجس وهو لا يعلم ما فعل به لصغر عقله عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال قيل لي يا علي طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله في كل نفس فقلت وما ثيابي فقيل لي إن الله كساك حلة المعرفة ثم حلة التوحيد ثم حلة المحبة ثم حلة الإيمان ثم حلة الإسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قل ما يعصيه وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه قبل عذره قال ففهمت من ذلك قوله تعالى وثيابك فطهر يا من عاش وما عاش تخرج من الدنيا وما ذقت ألذ شيء فيها وهي مناجاة الحق سبحانه ومخاطبته لك فأنت ملقى جيفة بالليل فإن دفعت عنه فاستغث بالله وقل يا ملائكة الله ويا رسول ربي فاتتني الغنيمة التي نالوها من لذة المناجاة ووداد المصافاة إذا كان العبد معجبا بطاعته متكبرا على خلقه ممتلئا عظمة يطلب من الخلق أن يوفوا حقوقه ولا يوفي حقوقهم فهذا يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله وإذا كان فعل معصية تراه باكيا حزينا منكسرا ذليلا

لطاعة الله عليهم وآفات المتجردين ربما كانت عجبا أو كبرا أو رياء أو تصنعا أو تزينا للخلق بطاعة الله استجلابا لما في أيديهم ثم وقد تكون الآفات اعتمادا واستنادا إلى الخلق وأمارة ذلك ذمه للناس إذا لم يكرموه وعتبه عليهم إذا لم يخدموه فالمنغمس في الأسباب مع الغفلة أحسن حالا من هذا بكثير أحسن الله منا النيات وطهر نفوسنا من الآفات بفضله وكرمه

(فصل) لعلك تفهم من هذا الكلام أن المتجرد والمتسبب في رتبة واحدة وليس الأمر كذلك ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الأسباب ولو كان فيها متقنا فالمتسبب والمتجرد إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما هو فيه أعلى وأكمل ولذلك قال بعض العارفين مثل المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لأحدهما اعمل وكل من كسب يدك وقال للآخر الزم أنت حضرتي وخدمتي وأنا أقوم لك بما تريد فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية به أدل ثم إنه قلما تسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول في الأسباب لاستلزامها المعاشرة الأضداد ومخالطة أهل الغفلة والعناد وأشد ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأشد ما يدخل بك في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا شر فجانبه سرعة * وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة فصحبتك للغافلين معونة لها على وجود الغفلة إذ الغفلة ملائمة لها من أصل الوضع فكيف إذا انضم إلى ذلك سبب مخالطة الغافلين وقد تجد من نفسك أيها الأخ وفقك الله أنه لا يستوي حالة خروجك من منزلك وعودك إليه وأنت في حين خروجك تغلب عليك الأنوار وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد في الدنيا فتجدك إذا رجعت لست كذلك ولا ثم ههنا لك وما ذاك إلا الدنس المخالطة وانغماس القلوب في ظلمة الأسباب ولو كانت الأسباب والمعاصي إذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب عن المسير إلى الله تعالى بعد انفصالها ووجود زوالها وإنما ذلك كالنار فربما انقضى الإيقاد وبقي السواد ويحتاج المتسبب إلى شيئين علم وتقوى فالعلم يعلم به الحلال والحرام والتقوى تصده عن ارتكاب الآثام فأما حاجته إلى العلم فإنه يحتاج إلى الأحكام المتعلقة بالمعاملة بيعا وسلما وصرفا وما يتعلق بذلك مع ما يحتاج إليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات *(تنبيه وإعلام)* أمور ينبغي للمتسببين أن يلتزموها *(الأول)* ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل على العفو عن المسيئين إليه إذ الأسواق محل المخاصمة والمقاولة ولذلك قال رسول الله عليه السلام أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على المسلمين *(الثاني)* ينبغي له أن يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل الله السلامة في مخرجه ذلك فإنه لا يدري ماذا يقضى عليه فإن الخارج إلى السوق كالخارج إلى المصاف فينبغي للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه درعا سابغة تقيه سهام الأعداء ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه *(الثالث)* ينبغي له إذا خرج من منزله أن يستودع الله أهله ومسكنه وما فيه فإنه حري أن يحفظ ذلك عليه وليذكر قوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وليذكر قوله عليه السلام اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والولد والمال فإنه إذا استودعهم الله فحري أن يرجع فيجدهم كما يحب ويحبون * سافر بعضهم وكانت زوجته حاملا فحين سافر قال اللهم إني أستودعك ما في بطنها فتوفيت زوجته في غيبته فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له توفيت وهي حامل فلما كان الليل رأى نورا في المقابر فتبعه فإذا هو في قبرها وإذا بالصبي يرضع من ثديها

يتطارح على أرجل الصالحين ويزورهم معترفا بالتقصير فهذا يرجى له حسن الخاتمة إذا طلبت قارئا وجدت ما لا يحصى وإذا طلبت طبيبا وجدت كثيرا وإذا طلبت فقيها وجدت مثل ذلك وإن طلبت من يدلك على الله ويعرفك بعيوب نفسك لم تجد إلا قليلا فإن ظفرت به فامسكه بكلتا يديك إن أردت أن تنتصر فكن كذلك ذلة قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة إن أردت أن تعطى فكن كذلك فاقرأ إنما الصدقات للفقراء والمساكين تكون في وسط النهر وأنت عطشان تكون معه في الحضرة وأنت تطلب الاتصال كأن العباد لم يتواصلوا للآخرة إلا بكثرة المأكل والمشرب أو قيل لهم هذه توصلكم إلى الآخرة ولكن ما أرخص نفسك عليك لولا هوانها عليك ما عرضتها لعذاب الله تعالى وما أغلاها في طلب الدنيا وجمعها والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجم عن حاله ولا يسأل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضعفت عن العبادة فرقع عبادتك بالبكاء والتضرع إذا قيل لك من يبكي عليه فقل عبد عوفي فأنفق عافيته في معصية الله إذا نمت على تخليط رأيت التخليط في منامك بل ينبغي لك أن تنام على طهارة وتوبة فيفاتح قلبك بنوره ولكن من كان في نهاره لاغيا كان في ليله عن الله ساهيا إذا رأيت وليا لله تعالى فلا يمنعك إجلاله من أن تقعد بين يديه متأدبا وتتبرك به واعلم أن السماء والأرض لتتأدب مع الولي كما يتأدب معه بنو آدم فمن فرح بالدنيا إذا جاءته فلقد ثبت حمقه وأحمق منه من إذا فاتته حزن عليها فمثالك كمن جاءته حية لتلدغه ثم مضت وسلمه الله منها فحزن عليها أن لم تضره من علامات الغفلة وصغر

فهتف به هاتف ياهذا انك استودعتنا الولد فوجدته أما لو استودعتهما الوجدتهما جميعا *(الرابع)* يستحب له اذا خرج من منزله أن يقول بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة الا بالله فان ذلك كان مؤيسا للشيطان منه *(الخامس)* الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وليجعل ذلك شكر النعمة القوة والتقوى الذين وهبهما المولى له وليذكر قوله تعالى الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فمن أمكنه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بحيث لايصل اليه أذى فى نفسه أو عرضه أو ماله فهو ممن مكن فى الارض والوجوب متعلق به وان كان لايصل الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا بالاذى قبل ذلك أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعده سقط عنه الوجوب والانكار حينئذ جائز *(السادس)* أن يكون مشيه بالسكينة والوقار لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وليس ذلك خاصا بالمشى بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة و يلازمها التثبت *(السابع)* ان يذكر الله تعالى فى سوقه فانه قد جاء عنه عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الغازين ذاكر الله فى السوق كالحى بين الموتى وكان بعض السلف يركب بغلته و يأتى الى السوق فيذكر الله ثم يرجع لايخرجه الا ذلك *(الثامن)* أن لايشغله ماهو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض الى الصلاة فى أوقاتها جماعة لانه اذا ضيعها اشتغالا بسببه استوجب المقت من ربه ورفع البركة من كسبه و يستحى أن يراه الحق مشغولا بحظوظ نفسه عن حقوق ربه وقد كان بعض السلف يكون فى صنعته فربما رفع المطرقة فسمع المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد ان دعى الى طاعة ربه وليذكر اذا سمع المؤذن قوله تعالى ياقومنا أجيبوا داعى الله وقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله تعالى استجيبوا لربكم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى بيته يخصف النعل و يعين الخادم فاذا نودى للصلاة قام كأنه لايعرفنا *(التاسع)* ترك الحلف والاطراء لسلعته وقد جاء فى ذلك الوعيد الشديد وقد قال عليه السلام التجار هم الفجار الا من بر وصدق *(العاشر)* كف لسانه عن الغيبة والنميمة وليذكر قوله تعالى ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وليعلم أن السامع للغيبة أحد المغتابين فان اغتيب أحد بحضرته فلينكر عليه فان لم يسمع منه فليقم ولايمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق فالله أولى أن يستحى منه وأن يرضى الله و رسوله أحق من أن يرضى الناس والله و رسوله أحق أن يرضوه وقد جاء عنه عليه السلام ان الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الاسلام وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أربعة آداب اذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به وان كان أعلم البرية مجانبة الظلمة وايثار أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة وملازمة الخمس الصلوات فى الجماعة وصدق رضى الله عنه فان مجانبة الظلمة تقع السلامة فى الدين لان صحبة الظلمة تكسف نور الايمان ومجانبتهم أيضا تكون سببا للنجاة من عقوبة الله تعالى لقوله تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقوله وايثار أهل الآخرة أن يكون الفقير المتسبب الغالب عليه التردد الى أولياء الله والاقتباس منهم ليتقوى بذلك على كدرة الاسباب فتنفع عليه نفحاتهم وتظهر عليه بركاتهم و ربما وصلت اليه فى سببه أمدادهم وحفظه من المعصية ودهم واعتقادهم وقوله رضى الله عنه ومواساة ذوى الفاقة وذلك لانه يجب على العبد أن يشكر نعمة الله عنده فاذا فتح لك فى الاسباب فاذكر من أغلقت عليه أبوابها واعلم أن الله سبحانه وتعالى اختبر الاغنياء بوجدان أهل الفاقة كما اختبر أهل الفاقة بوجود الاغنياء وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ووجود أهل الفاقة نعمة من الله على ذوى الغنى اذ وجدوا من يحمل عنهم أزوادهم الى الدار الآخرة واذ وجدوا من اذا أخذ منهم

العقل ان تعول هما هل يقع أولا وتترك ان تعول هما لابد من وقوعه وتصبح تقول كيف يكون السعر غدا وكيف يكون الحال فى
هذه السنة والطاف الله تاتى من حيث لاتعلم والشك فى الرزق شك فى الرازق وماسرق السارق وماغصب الغاصب الا
رزقه فادمت حيا لاينقص من رزقك شيأ كفى بك جهلا ان تعول الهم الصغير وتترك الهم الكبير عل هم هل تموت مسلما أو كافرا عل هم هل أنت شقى أوسعيد عل هم النار الموصوفة بالابدية التى لاانتهاء لها عل هم أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال هذا هو الهم الذى يعال لاتعل هم لقمة تاكلها أو شربة تشربها أيستخدمك الملك ولايطعمك اتكون فى دار الضيافة وتضيع ان أحب مايطاع الله به الثقة به لان تكون خاملا فى الدنيا خير لك من ان تكون خاملا يوم القيامة هذه صفاوة العمر وغربلته يامن لاياكل الحنطة الامغربلة لابد لك ان يغربل عملك فلا يبقى لك الا ماأخلصت فيه وما عداذلك يرمى وأكثر ما يخاف عليك مخالطة الناس ولايكفيك ان تسمع باذنك بل تشاركهم فى الغيبة وهى تنقض الوضوء وتفطر الصائم كفى بك جهلا ان تغار على زوجتك ولاتغار على ايمانك كفى بك خيانة ان تغار عليها لاجل نفسك ولاتغار على قلبك لاجل ربك اذا كنت تحفظ ماهو
لك الا تحفظ ماهو لربك اذا رايت من يصبح مهموما لاجل الرزق فاعلم انه بعيد من الله فانه لو قال لك مخلوق لاتشتغل أخذ
غدا بسببى وأنا أعطيك خمسة دراهم وتثق به وهو مخلوق فقير أما تكتفى بالغنى الكريم الذى ضمن لك رزقك مع أجلك أنشد انسان

أخذ الله منهم والله هو الغنى الحميد فلو لم يخلق الفقير فكيف كان تتقبل منهم صدقاتهم وأين كانوا يجدون من يأخذها منهم ولذلك قال عليه السلام من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا طيبا كان كأنما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى أن اللقمة لتعود مثل جبل أحد ولذلك كان من اشراط الساعة أن لايجد الرجل من يقبل صدقته وقوله وملازمة الخمس فى جماعة وذلك أن الفقير المتسبب لما فاته التخلى والتجرد لعبادة الله تعالى فيدخل مدخل الخصوص بدوام الخدمة وملازمة الموافقة فينبغى أن لاتفوته ملازمة الخمس فى الجماعة لتكون ملازمته لها سببا لتجديد الانوار وموجبا لوجود الاستبصار وقد قال عليه السلام تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة وفى الحديث الآخر بسبع وعشرين جزأ ولو شرع للعباد أن يصلى كل انسان فى حانوته وداره لتعطلت المساجد التى قال فيها الحق سبحانه وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ولان فى ملازمة الصلاة جماعة اجتماع القلوب وتناصرها والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم وقد قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة ولان الجماعة اذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم وامتدت أنوارهم لمن شهدهم وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش اذا اجتمع وتضام كان ذلك سببا فى وجود نصرته وهو أحد التأويلين فى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص *(استلحاق)* وعليك أيها المؤمن بغض طرفك من حين خروجك الى سببك الى حين ترجع ولتذكر قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وليعلم أن بصره نعمة من الله عليه فلا يكن لنعم الله كفورا وأمانة من الله عنده فلا يكن لها خائنا وليذكر قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور وقوله تعالى ألم يعلم بان الله يرى واذا أردت أن ترى فاعلم أنه يرى وليعلم أنه اذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاء وفاقا فمن ضيق على نفسه فى دائرة الشهادة وسع الله عليه فى دائرة الغيب وقال بعضهم ماغض أحد بصره عن محارم الله الا وجده نورا فى قلبه يجد حلاوة ذلك *(انعطاف)* اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولى البصائر انما هو مخاصمة للربوبية وذلك لانه اذا نزل بك أمر تريد رفعه أو رفع عنك أمر تريد وضعه أو تهممت بامر أنت عالم أنه متكفل بذلك وقائم به اليك كان ذلك منازعة للربوبية وخروجا عن حقيقة العبودية واذكر هنا قوله سبحانه وتعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ففى هذه الآية توبيخ للانسان لما غفل عن أصل نشأته وخاصم منشئه وغفل عن سر بدايته ونازع مبدأه وكيف يصلح لمن خلق من نطفة أن ينازع الله فى أحكامه وأن يضادده فى نقضه وابرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله * واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب وانما التدبير للنفس ينبع من وجود الموادة لها ولو غبت عنها فناء وكنت بالله بقاء لغيبك ذلك عن التدبير لنفسك أو بنفسك وما أقبح عبدا جاهلا بأفعال الله غافلا عن حسن نظر الله ألم تسمع قوله تعالى قل كفى بالله فان الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله ولو اكتفى بتدبير الله له لاقتطعه ذلك عن التدبير مع الله *(تنبيه واعلام)* اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ فى اليقين ووجود القوة والتمكين وذلك لان أهل الغفلة والاساءة قد أجابوا الشيطان فى الكبائر والمخالفات واتباع الشهوات فليس للشيطان حاجة أن يدعوهم الى التدبير ولو دعاهم اليه لاجابوه بسرعة فليس هو أقوى اسبابه فيهم انما يدخل بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم فرب صاحب ورد عطله عن ورده أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكرة فى مصالح نفسه ورب ذى ورد استضعفه الشيطان فالقى اليه دسائس التدبير ليعكر عليه صفاء وقته لانه حاسد والحاسد أشد مايكون لك حسدا اذا صفت لك الاوقات وحسنت

اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار ولاتشرب باقداح صغار * فقد ضاق الزمان عن الصغار ومعناه عنده اذا
مضت العشرون من شعبان فقد قرب رمضان يقطع علينا الشراب ومعناه عند أهل الطريق اذا خلفت أربعين سنة وراء
ظهرك فواصل العمل الصالح بالليل والنهار لان الوقت قد قرب الى لقاء الله عز وجل فليس عملك كعمل من كان شابا ولم يضيع شبابه ونشاطه وأنت قد ضيعت شبابك ونشاطك هب أنك تريد الجد ولكن لاتساعدك القوى فاعمل على قدر حالك و رقع الباقى بالذكر فانه لاشئ أسهل منه يمكنك فى حال القيام والقعود والمرض والاضطجاع فهذا أسهل العبادات وهى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكن لسانك رطبا بذكر الله وأى دعاء أوذكر سهل عليك فواظب عليه فان مدده من الله عز وجل فاذكرته الابسره وما أعرضت عنه الابسطوته وقهره فاعمل واجتهد فالغفلة فى العمل خير من الغفلة عنه ترى حالك حال الزاهدين فى الفضل لان الطالب لاينقطع عن الابواب بل تجده واقفا عليها فمثاله كالثكلى التى مات ولدها أتراها تحضر الاعراس والافراح والولائم بل هى مشغولة بفقد ولدها وكم يرسل لك المولى الصنائع وأنت عبد شر ودفشالك كالطفل فى المهد كلما حرك نام ولو أرسل لك الملك خلعة
ما أصبحت الا على بابه فاغتنم أوقات الطاعات واصطبر عليها ان طلبت ان تعصيه فاطلب مكانا لايراك فيه أحد واطلب قوة من غيره تعصيه
بها ولن تستطيع شيأ من ذلك لان الكل من نعمه تاخذ نعمه وتعصيه بها بل تفننت فى المخالفات مرة بالغيبة ومرة بالنميمة ومرة بالنظر وما

بنيته فى سبعين سنة تهدمه فى نفس واحد ياهادم الطاعات ماسلط الله عليك الفاقة الا لترفع حالتك اليه ولتجمع عليه فيامن يغرق نفسه فى

منك الحالات ثم ان وساوس التدبير ترد على كل أحد من حيث حاله فن كان تدبيره فى تحصيل كفاية يومه أو غده فعلاجه أن يعلم أن الله تعالى قد تكفل له برزقه لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وسيأتى بسط القول فى أمر الرزق بعد هذا فى باب منفرد ان شاء الله تعالى ومن كان تدبيره فى دفع ضرر العدو الذى لا طاقة له به فليعلم أن الذى يخافه ناصيته بيد الحق تعالى وأنه لا يصنع الا ما صنعه الحق فيه وليتذكر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم واصغ بسمع قلبك الى قوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ولتعلم أن الحق تعالى أولى من استجير به فاجار لقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه وأولى من استحفظ فحفظ لقوله تعالى فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين وان كان التدبير من أجل ديون حلت لا وفاء لها ولا صبر لاربابها فاعلم أن الذى يسر عليك بلطفه من أعطاك هو الذى ييسر بلطفه الوفاء عنك هل جزاء الاحسان الا الاحسان وأف لعبد يسكن لما فى يده ولا يسكن لما فى يد الحق تعالى له وان كان التدبير من أجل عائلة تركتهم وراء ظهرك لا شئ يقوم بهم فاعلم ان الذى يقوم بهم بعد مماتك هو الذى يقوم بهم فى حضورك وغيبتك فى حياتك واسمع ما قال رسول الله عليه السلام اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل فالذى ترجوه امامك هو الذى ترجى لما وراءك واسمع قول بعضهم ان الذى وجهت وجهى له هو الذى خلفت فى أهلى لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع من فضلى وأن الله أرحم بهم منك فلا تهتم بمن هو فى كفالة غيرك وان كان تدبيرك واهتمامك من أجل مرض نزل بك تخاف أن تتطاول ساعاته وتمتد أوقاته فاعلم أن للبلايا والاسقام أعمارا فكما لا يموت حيوان الا عند انقضاء عمره كذلك لا تنقضى بلية حتى ينقضى ميقاتها واذكر قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * وكان ولد لبعض المشايخ فتوفى أبوه وبقى الولد بعده فاستمسكت عليه امداد الوقت وكان لابيه أصحاب قد تفرقوا بالعراق فتفكر أى أصحاب أبيه يقصد ثم أجمع عزمه على أن يقصد أوجههم عند الناس فلما قدم عليه أكرمه وأجل محله ثم قال ياسيدى وابن سيدى ما الذى جاء بك قال توقفت على أسباب الدنيا فاريد أن تتحدث لى عند أمير البلدة لعل أن يجعلنى على جهة من جهاته فيكون فيها تمشية حالى فاطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ليس فى قدرتى أن أجعل أول الليل سحرا أين أنا منك اذا وليت حكم العراقين فخرج ولد ذلك الشيخ من عنده متغيظا ولم يفهم ما قال له الرجل الصالح فاتفق أن طلب الخليفة من يعلم ولده فدل عليه وقيل له ولد فلان فاحضر لتعليم ولد الخليفة فمكث يعلم ولد الخليفة مدة التعليم ويجالسه بعد ذلك حتى تكملت أربعين عاما فتوفى الخليفة واستخلف ولده الذى كان هذا معلما له فولاه حكم العراقين وان كانت الفكرة لاجل زوجة أو امة فقدتها كانت توافقك فى أحوالك وتقوم بمهمات أشغالك فاعلم أن الذى يسرها لك لم ينفد فضله واحسانه لم ينقطع وهو قدير على أن يمسك من منته ما يزيد حسنا ومعرفة على ما فقدت فلا تكن من الجاهلين ووجوه التدبير لا تتعدد عاجلاتها فاستقصاء وجوهها وعاجلاتها لا سبيل اليه لانتشارها وعدم انحصارها ومتى أعطاك الله الفهم عرفك كيف تصنع *(تنبيه واعلام)* اعلم ان التدبير انما يكون من النفس لوجود الحجاب فيها ولو سلم القلب من مجاورتها وصين من محادثتها لم تطرقه طوارق التدبير *وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء اضطربت فارساها بالجبال فقال والجبال أرساها كذلك لما خلق النفس اضطربت فارساها بجبال العقل انتهى كلام الشيخ أبى العباس رضى الله عنه فاى عبد توفر عقله واتسع نوره تنزلت عليه السكينة من ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت

بالاوم كيف لا تحبه ما أحد يحبك فينفعك وكل من يحبك انما يحبك لنفسه وانما تحبك الزوجة لتجتنى منك مطايب العيش والملابس وكذلك الولد يقول أشد بك ظهرى فاذا كبرت ولم تبق فيك قوة ولا بغية رفضوك لو انقطعت عن الخلق لفتح لك باب الانس به تعالى لان الاولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة فسمعوا من الله وأنسوا به فان أردت ان تستخرج مرآة قلبك من الاكدار فارفض ما رفضوا وهو الانس بالخلق وانس جرى افلان واتفق افلان ولا تقعد على أبواب الحارات فن استعد استمد فاذا هيأك الاستعداد فتح لك باب الاستمداد ومن أحسن قرع الباب فتح له فرب طالب أساء قرع الباب فردلسوء أدبه ولم يفتح له واكثر ما أوتى العباد من قلة الصمت فلو تقربت الى الله لسمعت مخاطبته على الدوام فى سوقك وبيتك ولكن من استيقظ شهد ومن نام لم تسمع اذنا قلبه ولم تشهد بصيرته ولكن الحجاب مرتخ ولو ان العباد فطنوا لم يقبلوا الا على الله ولم يجلسوا الا بين يديه ولم يستفتوا غيره لقوله صلى

الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك لان الخواطر الالهية تأتى من الله تعالى فهى موافقة وربما أخطأ المفتى بولى
والقلب لا يخطئ وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة وانما يستفتى عالم ولا علم لمن غفل عن الله تعالى (كانوا رضى الله عنهم) لا يدخلون فى شئ

بنفوسهم ولكن من الله وبالله وان المسافة بعدت بين الاولياء والصحابة فجعلت الكرامات جبرا لما فاتهم من قرب المتابعة التامة فان

بولى الاسباب فكانت مطمئنة أى خامدة ساكنة لاحكام الله ثابتة لاقداره ممدودة بتأييده وأنواره خارجة عن التدبير والمنازعة للمقادير مسلمة لمولاها لعلمها بانه يراها أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد فاستحقت أن يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وفى هذه الآية خصائص عظيمة ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسيمة منها أن النفوس ثلاثة أمارة ولوامة ومطمئنة فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة من الانفس الثلاث الا المطمئنة فقال فى الامارة ان النفس لامارة بالسوء وفى اللوامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وأقبل على هذه بالخطاب فقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى *(الثانى)* تكنيته اياها والتكنية فى لغة العرب تجليل فى الخطاب وفخر عند أولى الالباب *(الثالث)* مدحه اياها بالطمأنينة ثناء منه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه *(الرابع)* وصفه هذه النفس بالطمأنينة والمطمئن هو المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها أثنى عليها مولاها لاظهار الفخر لها لقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله *(الخامس)* قوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية فيه اشارة الى أنه لا يؤذن للنفس الامارة واللوامة بالرجوع الى الله تعالى رجوع الكرامة بل انما ذلك للنفس المطمئنة لاجل ما هى عليه من الطمأنينة قيل لها ارجعى الى ربك راضية مرضية فقد أبحنا لك الدخول الى حضرتنا والخلود فى جنتنا فكان فى ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل اليه أحد الا بالاستسلام الى الله تعالى وعدم التدبير معه *(السادس)* قوله ارجعى الى ربك ولم يقل الى الرب ولا الى الله فيه اشارة الى ان رجوعها اليه من حيث لطف ربوبيته لا الى قهر الاهيته فكان ذلك تانيسا لها وملاطفة وتكريما وموادة *(السابع)* قوله تعالى راضية أى عن الله فى الدنيا باحكامه وفى الآخرة بجوده وانعامه فكان فى ذلك تنبيه للعبد انه لا يحصل له الرجعى الى الله الا مع الطمأنينة بالله والرضا عن الله والا فلا وفى ذلك اشارة الى انه لا يحصل أن يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عنه فى الدنيا * فان قلت هذه الآية تقتضى أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد والآية الاخرى تدل على ان الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه *فاعلم ان لكل آية ما أثبتت فلا خفاء فى الجمع بين الآيتين وذلك ان قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه يدل من وجود ترتيبه على ان الرضا من العبد نتيجة لرضا من الله والحقيقة تقضى بذلك لانه لو لم يرض عنهم أولا لم يرضوا عنه آخرا والآية الاخرى تدل على ان من رضى عن الله فى الدنيا كان مرضيا عنده فى الآخرة وذلك بين لا اشكال فيه *(الثامن)* قوله تعالى مرضية وذلك مدحة عظمى لهذه النفس المطمئنة وهى أجل المدح والنعوت ألم تسمع قوله تعالى ورضوان من الله أكبر بعد ان وصف نعيم أهل الجنة أى رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذى هم فيه *(التاسع)* قوله تعالى فادخلى فى عبادى فيه بشارة عظمى للنفس المطمئنة اذ نوديت ودعيت الى ان تدخل فى عباده وأى عباد هؤلاء هم عباد التخصيص والنصر لا عباد الملك والقهر هم العباد الذين قال الله فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى الا عبادك منهم المخلصين لا العباد الآخرون الذين قال فيهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا فكان فرح هذه النفس المطمئنة بقوله فادخلى فى عبادى أشد من فرحها بقوله تعالى وادخلى جنتى لان الاضافة الاولى اليه تعالى والاضافة الثانية الى جنته *(العاشر)* قوله تعالى وادخلى جنتى فيه اشارة الى ان هذه الاوصاف التى اتصفت بها النفس المطمئنة هى التى أهلتها الى أن تدعى أن تدخل فى عباده والى أن تدخل فى جنته جنة الطاعة فى الدنيا والجنة المعلومة فى الآخرة والله أعلم *(فائدة)* قد تضمنت الآية صفتين كل واحد منهما تدل على هدم قواعد التدبير وذلك انه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التى خصصها بهذه الخصائص التى ذكرناها باوصاف منها الطمانينة والرضا وهما لا يكونان الا مع اسقاط

الكرامات العظيمة بصحبتهم له صلى الله عليه وسلم وأى كرامة أعظم منها واعلم ان كل صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة لقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأنت تخرج من الصلاة ومن مناجاة الحق سبحانه وتعالى فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولك السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وهذا فى كل صلاة ثم تخرج الى الذنوب بعد هذه النعم التى أنعم الله بها عليك (عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى) رضى الله تعالى عنه انه كان يحضر عنده فقهاء الاسكندرية والقاضى فجاؤا مرة مختبرين للشيخ فتفرس فيهم وقال يا فقهاء هل صليتم قط فقالوا ياشيخ وهل يترك أحدنا الصلاة فقال لهم قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين فهل أنتم كذلك اذا مسكم الشر لا تجزعوا واذا مسكم الخير لا تمنعوا فسكتوا جميعا فقال لهم الشيخ فما صليتم هذه الصلاة قط ان تفضل عليك بالتوبة فن فضله

سبحانه وتعالى تبت اليه وانك تذنب سبعين سنة فتتوب اليه فى نفس واحد فيمحو ما عملته فى تلك المدة لتائب من الذنب كمن لا ذنب له
فالمؤمن كلما ذكر ذنبه حزن وكلما ذكر طاعته فرح قال لقمان الحكيم المؤمن له قلبان يرجو باحدهما ويخاف بالآخر يرجو قبول

التدبير اذ لا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها الا انها اذا رضيت عن الله استسلمت له وانقادت لحكمه واذعنت لامره فاطمانت لربوبيته وقرت بالاعتماد على الاهية فلا اضطراب اذ ما أعطاها من نور العقل يثبتها فلا حركة لها جامدة لاحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه *(فائدة)* اعلم ان سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر القهار وذلك انه سبحانه وتعالى أراد أن يتعرف الى العباد بقهره فخلق فيهم تدبيرا واختيارا ثم فسح لهم بالحجبة حتى أمكنهم ذلك اذ لو كانوا في وجود المواجهة والمعاينة لم يمكنهم التدبير والاختيار كما لا يمكن الملأ الاعلى ذلك فلما دبر العباد واختاروا توجه بقهره الى تدبيرهم واختيارهم فزلزل أركانهم وهدم بنيانهم فلما تعرف للعباد بقهر مراده علموا انه القاهر فوق عباده فما خلق الارادة فيك لتكون لك الارادة ولكن لتدحض ارادته ارادتك فتعلم انه ليس لك ارادة كذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك دائما فيك وانما جعله فيك لتدبر ويدبر فيكون مايدبر لا ما تدبر ولذلك قيل لبعضهم بماذا عرفت الله قال بنقض العزائم

(فصل) كنا قد وعدنا بانا نفرد للتدبير في شأن الرزق بابا وذلك ان أكثر دخول التدبير على القلوب من جهته فاعلم ان سلامة القلوب من التدبير في شان الرزق منة عظمى لا يسلم منها الا الموفقون الذين صدقوا الله في حسن الثقة فاطمانت قلوبهم اليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى لقد قال بعض المشايخ احكموا لي أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات وقال بعض المشايخ أشد الهموم هموم الاقتضاء * وتبيين ما قال هذا الشيخ ان الله تعالى خلق هذا الآدمي محتاجا الى مدد يمسك بنيته ويمد قوته لما كانت الحرارة الغريزية التي هي فيه تحلل أجزاء بدنه كان هذا الغذاء تطبخه المعدة فتأخذ خلاصته فتعود جزء بدنه خلفا لما حللته الحرارة الغريزية منه ولو شاء الحق تعالى لاغنى وجود الآدمي عن المدد الحسي وتناول الاغذية ولكن أراد سبحانه وتعالى أن يظهر حاجة الحيوان الى وجود التغذية واضطراره الى ذلك وغناه سبحانه وتعالى عما هو الحيوان محتاج اليه فلذلك قال سبحانه وتعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم فتمدح سبحانه وتعالى بوصفين أحدهما انه يطعم غيره لان كل العباد آخذ من احسانه وآكل من رزقه وامتنانه والآخر انه لا يطعم لانه المقدس عن الاحتياج الى التغذية بل هو الصمد والصمد هو الذي لا يطعم وانما خص الحق تعالى الحيوان بالافتقار الى التغذية دون غيره من الموجودات لانه سبحانه وتعالى وهب الحيوان من صفاته مالو تركه من غير فاقة لادعى أو ادعى فيه فاراد الحق سبحانه وتعالى وهو الحكيم الخبير أن يحوجه الى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك ليكون تكرار الحاجة منه سببا لخمود الدعوى عنه أوفيه (فائدة) اعلم ان الحق تعالى أراد أن يجعل الحاجة لهذا النوع وهو الحيوان من الآدمي وغيره اما ليعرفه أو ليعرف به الا ترى ان الحاجة باب الى الله وسبب يوصلك اليه ألم تسمع قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فجعل الفقر الى الله سببا يؤدي الى الوصول اليه والدوام بين يديه ولعلك أن تفهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه بحاجتها وافتقارها وذاتها وفاقتها ومسكنتها عرف ربه بعزه وسلطانه وجوده واحسانه الى غير ذلك من أوصاف الكمال لاسيما هذا النوع من الآدمي فان الحق سبحانه وتعالى كرر فيه أسباب الحاجة وعدد فيه أنواع الفاقة لانه محتاج الى صلاح معاشه ومعاده وافهم ههنا قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد أي من أمر دنياه وأخراه فلكرامته عند الله كرر أسباب الحاجة فيه ألم تر ان لاصناف الحيوان غنية باصوافها وأوبارها وأشعارها عن لباس دثارها وغنية بمرابضها وأوكارها عن أن تتخذ بيتا لقرارها (فائدة أخرى) وهو ان الحق تعالى أراد أن يختبر هذا الآدمي فاحوجه لامور شتى لينظر ايدخل في استجلابها بعقله وتدبيره أو يرجع الى الله في قسمته وتقديره (فائدة أخرى) وهو انه سبحانه وتعالى أراد أن يتحبب الى هذا العبد فلما أورد عليه أسباب الفاقة

عمله ويخاف ان لا يقبل منه لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا من أراد الجمع على الله فعليه بقيام أوامر الله اذا اطلعت على زوجتك بخيانة فانك تغضب عليها فكذلك نفسك قد خانتك في عمرك واجمع العقلاء على ان الزوجة اذا خانت لا ياويها زوج وجاهل

يطلقها فاطلق نفسك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكثر مايدخل الناس الجنة فقال عليه الصلاة والسلام تقوى الله وحسن الخلق فقيل له فما أكثر مايدخل الناس النار فقال عليه الصلاة والسلام الاجوفان الفم والفرج فاغسل قلبك بالندم على مافاتك من الله عز وجل غلطوا والله في النوائح على زوجة أو زوج أو والد أو ولد بل كان من حقهم أن يقيموا النوائح على فقدانهم تقوى الله من قلوبهم تقهقه بالضحك كانك جاوزت الصراط وعثرة النيران اذ لم يكن بينك وبين الله ورع يحجزك عن المعاصي اذا خلوت والا فضع التراب على رأسك لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله اذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله لاشيء يخذلك يوم القيامة مثل درهم انفقته في حرام ليس الشان فيمن يرفق بك اذا وافقته بل الشان فيمن يرفق بك اذا خالفته ومما يخاف عليك موالاة الذنوب ليستدرجك فيها ويمكنك منها قال الله تعالى سنستدرجهم من

حيث لا يعلمون ان كانت معك عناية ينفعك القليل وان لم تكن لك عناية لم ينفعك الكثير لو كشف عنك الحجاب ورفعها لرأيت كل شيء ناطقا مسبحا لله تعالى ولكن النقص فيك والحجاب منك ما أكثر احتراسك على بدنك وما أرخص دينك عليك لو قيل لك

ورفعها عنه وجد العبد لذلك حلاوة في نفسه وراحة في قلبه فاوجب له ذلك تجديد الحب لربه قال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكلما تجددت النعم تجدد له من الحب بحسبها (فائدة أخرى) وهو انه سبحانه وتعالى أراد أن يشكر فلذلك أورد الفاقة على العباد وتولى رفعها ليقوموا له بوجود شكره وليعرفوه باحسانه وبره قال الله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (فائدة أخرى) وذلك أنه تعالى أراد أن يفتح للعباد باب المناجاة فكلما احتاجوا الى الاقوات والنعم توجهوا اليه برفع الهمم فشرفوا بمناجاته وتحوا من هباته ولولم تسقهم الفاقة الى المناجاة لم يفقهها عقول العموم من العباد ولولا الحاجة لم يستفتح بابها الاعقول أهل الوداد فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة والمناجاة شرف عظيم ومنصب من الكرامة جسيم ألا ترى ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال علي رضي الله عنه والله ماطلب الاخبزا ياكله ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله فانظر رحمك الله كيف سأل من ربه ذلك لعلمه انه لا يملك شيئا غيره وكذلك ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك يسأل الله تعالى ماقل وجل حتى قال بعضهم اني لأسأل الله في صلاتي حتى ملح عجيني ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج اليه من الله قلة ذلك فانه ان لم تسأله في القليل لم تجد بايعطيك ذلك غيره والطلب وان كان قليلا فقد صار لفتحه باب المناجاة جليلا حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك وفي هذه الآية فوائد (الفائدة الاولى) وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه ماقل وجل وقد ذكرناه آنفا (الفائدة الثانية) انه صلى الله عليه وسلم نادى متعلقا باسم الربوبية لانه المناسب في هذا المكان لان الرب من رباك باحسانه وغذاك بامتنانه فكان في ذلك استعطاف لسيده اذ ناداه باسم الربوبية التي ماقطع عنه عوائدها ولا حبس فوائدها (الفائدة الثالثة) قوله اني لما أنزلت الي من خير فقير ولم يقل اني الى الخير فقير وفي ذلك من الفائدة انه لو قال اني الى خيرك أو الى الخير فقير لم يتضمن انه قد أنزل رزقه ولم يهمل أمره فاتى بقوله اني لما أنزلت الي من خير فقير ليدل على انه واثق بالله عالم بانه لا ينساه فكانه يقول رب اني أعلم انك لا تهمل أمري ولا أمر شيء مما خلقت وانك قد أنزلت رزقي فسق لي ما أنزلت لي كيف تشاء على ما تشاء محفوفا باحسانك مقرونا بامتنانك فكان في ذلك فائدتان فائدة الطلب وفائدة الاعتراف بان الحق سبحانه وتعالى قد أنزل رزقه ولكنه أبهم وقته وسببه وواسطته ليقع اضطرار العبد ومع الاضطرار تكون الاجابة لقوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولو تعين السبب والوقت والوسائط لم يقع للعباد الاضطرار الذي وجوده عند ابهامها فسبحان الاله الحكيم والقادر العليم (الفائدة الرابعة) تدل الآية على ان الطلب من الله تعالى لا يناقض مقام العبودية لان موسى عليه السلام له الكمال في مقام العبودية وبعد ذلك طلب من الله فدل على ان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فان قلت ان كان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فكيف لم يطلب ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم حين رمي به في المنجنيق وتعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فاكتفى بعلم الله تعالى به عن اظهار الطلب منه * فالجواب ان الانبياء صلوات الله عليهم يعاملون في كل موطن بما يفهمون عن الله انه اللائق به ففهم ابراهيم عليه السلام ان المراد به في ذلك الموطن عدم اظهار الطلب والاكتفاء بالعلم فكان بما فهمه عن ربه وكان هذا لان الحق سبحانه أراد أن يظهر سره وعنايته به للملأ الأعلى الذين لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون فاراد الحق تعالى ان يظهر سر قوله اني أعلم مالا تعلمون يوم زج

ان هذا الطعام مسموم لامتنعت منه ثم لو حلف لك بالطلاق انه ليس بمسموم لتوقفت عنه بل لو غسلت الوعاء الذي هو فيه مرارا لنفرت منه نفسك فلم لا تكون كذلك في دينك وكم لله عليك من ايادٍ أكثر من أمك انها اذا أخذتك وأنت صغير تلبسك أحسن

الملابس فان وسختها تخلع عليك ثيابا أخر في الوقت وأنت تاتي الى مملكة مزينة ليس فيها موضع شبر الا ويصلح للسجود عليه تتلف ثوبك وتوسخه بالمعصية تجلي عليك المحاسن فتجعل فيها ما يكدرها من المعصية ليس كل من صحب الاكابر اهتدى بصحبتهم فلا تجعل صحبة المشايخ علة في أمنك فمن اغتر بالله فقد عصاه لانك أمنت عقوبته كما يقول الجاهل صحبت سيدي فلانا ورأيت سيدي فلانا ويدعون دعاوى كلها كاذبة باطلة بل كان ينبغي لهم أن يزيدهم صحبة المشايخ خوفا ووجلا فقد صحبت المشايخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر وجلا ومخافة وربما كان الغنى دفعا والفقر جعلا لان الفاقة تحوجك أن تتضرع الى الله والفاقة تجمعك على الله خير من غنى يقطعك عنه كما أمرت أن تعرض عن المعصية أمرت أن تعرض عمن عصى وتدعوله في الغيبة والناس اليوم على العكس وما عسى أن ينفعك صومك وصلاتك وأنت تقع في عرض أخيك المسلم قال صلى الله

عليه وسلم جددوا ايمانكم بقول لا اله الا الله فدل ذلك على أنه يحصل له غبار المعصية ودنس المخالفة وما كل غش يطهره الماء بل رب غش لا يطهره الا النار كالذهب اذا كان فيه الغش فكذلك العصاة من هذه الامة لا يصلحون لدخول

بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق كانه يقول يامن قال أتجعل فيها من يفسد فيها كيف رأيتم خليلى نظرتم الى مايكون فى الارض من صنع أهل الفساد كنمرود ومن ضاهاه من أهل الفساد وما نظرتم الى مايكون فيها من أهل الصلاح والرشاد كما كان من ابراهيم عليه السلام ومن تابعه من أهل الوداد وأما موسى صلوات الله عليه فانه علم ان مراد الحق تعالى منه فى ذلك الوقت اظهار الفاقة وابداء لسان المسئلة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها فكل على بينة وهداية وتوفيق من الله ورعاية (الفائدة الخامسة) انظر الى طلب موسى عليه السلام من ربه وجود الرزق ولم يواجهه بالطلب بل اعترف بين يدى الله بوصف الفقر والفاقة وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى لانه اذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة وهذا من بسط المناجاة وهى كثيرة فتارة يجالسك على بساط الفاقة فتناديه ياغنى وتارة على بساط الذلة فتناديه ياعزيز وتارة على بساط العجز فتناديه ياقوى وكذلك فى بقية الاسماء فاعترف موسى عليه السلام بالفقر والفاقة الى الله تعالى فكان فى ذلك تعريض للطلب وان لم يطلب وقد يكون التعريض للطلب بذكر أوصاف العبد من فقره الى الله تعالى وحاجته وقد يكون التعريض بذكر أوصاف السيد من وجوده واحديته كما جاء فى الحديث أفضل دعائى ودعاء الانبياء من قبلى لااله الا الله وحده لاشريك له فجعل الثناء على الله تعالى دعاء لان فى الثناء على السيد الغنى بذكر أوصاف كماله تعرضا لفضله ونواله كما قال الشاعر

كريم لايغيره صباح * عن الخلق الكريم ولامساء
اذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الله تعالى حاكيا عن يونس عليه السلام فنادى فى الظلمات أن لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم قال سبحانك وتعالى مخبرا عن نفسه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ويونس عليه السلام لم يطلب صريحا ولكن لما أثنى على ربه عز وجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة اليه فجعل الحق تعالى ذلك طلبا *(الفائدة السادسة)* وكان من حقها أن تكون أولى ان موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتى شعيب عليه السلام ولم يقصد منهما أجرا ولا طلب منهما جزاء بل لما سقى لهما أقبل على ربه فطلب منه ولم يطلب منهما وانما طلب من مولاه الذى مهما طلب منه أعطاه والصوفى من يوفى من نفسه ولا يستوفى لها وانا فى هذا المعنى شعر

لاتشتغل بالعتب يوما للورى * فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعتبهم وأنت مصدق * ان الامور جرى بها المقدور
هم لم يوفوا للاله بحقه * أتريد توفية وأنت حقير
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها * واستوف منك لهم وأنت صبور
واذا فعلت ٧ فاشهد بعين من * هو بالخفايا عالم وخبير

فوسى عليه السلام وفى من نفسه ولم يستوف لها فكان له عند الله الجزاء الاكمل وعجل له سبحانه فى الدنيا زائدا على ما ادخره له فى الآخرة ان زوجه احدى الابنتين وجعله صهر النبيه شعيب عليه السلام وآنسه به حتى جاء أوان رسالته فلا تجعل معاملتك الامع الله تعالى أيها العبد تكن من الرابحين ويكرمك بما أكرم به العباد المتقين *(الفائدة السابعة)* انظر الى قوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففى ذلك دليل على انه يجوز للمؤمنين أن يؤثر الظلال على الضواحى وبارد الماء على سخنه وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرهما ولا يخرجه ذلك عن مقام الزهد ألا ترى ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام انه تولى الى الظل أى قصده وجاء اليه * فان قلت قد جاء عن بعضهم انه دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته التى يشرب منها فقيل له فى ذلك فقال انى لما وضعتها لم يكن شمس وانى لاستحى

الجنة حتى تطوهم النار لاتحسد الاعبدا قد لف فى ملابس التقوى هذا هو العيش وما أطيب عيش المحب مع الحبيب اذا لم يطلع عليه رقيب فان أحب ان يطلع عليه رقيب فاصدق فى حبه وكل من أراد أن يعلم أحد بحاله فقد خدع ولاتكن كارباب الدنيا الذين طلقتهم الدنيا بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل انفراقهم فمثالك اذا آثرت الدنيا على الآخرة كمن له زوجتان احداهما عجوزة خائنة والاخرى شابة وفية فاذا آثرت العجوزة الخائنة على الشابة الوفية انما تكون أحقر بما قضى عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب يصلى الرجل ركعتين فيعتمد عليهما ويركن اليهما ويعجب بهما فهذه حسنة أحاطت بها سيآت وآخر يفعل المعصية فتكسبه الذلة والانكسار ويديم المسكنة والافتقار فهذه سيئة أحاطت بها حسنات كفى بك جهلا نظرك الى صغير اساءة غيرك وتعاميك عن كبير اساءتك لاتنتقد على الناس بظاهر الشرع ولا تنكر عليهم فلو خوطبوا اليوم بما كانت عليه الصحابة والسلف الصالح لم يستطيعوا لان أولئك حجج الله على خلقه مثال الذنب عند أرباب البصائر كجيفة أدخلت الكلاب خراطيمها فيها أرأيت اذا غمس رجل فمه فى جيفة انما تعيب عليه فاذا كان الحق سبحانه قد جعل ميزانا للبيع والشراء فانما تجعل ميزانا للعقائق المتجس القدم لا يصلح للمحاضرة فكيف بمن تجس فمه من خان هان قيمة اليد ان خمسمائة دينار قطعت فى ربع دينار اذا خانت ومن تجرأ على صغيرة وقع فى كبيرة اعرف كان نفسك ولاتثق بها اذا قالت لك تزور فلانا

أن أمشى بحظ نفسى * فاعلم رحمك الله ان هذا حال عبد يتطلب الصدق من نفسه ويمنعها مناها ليشغلها بذلك عن الغفلة عن مولاها ولوا كتمل مقامه لرفع الماء عن الشمس قاصدا بذلك قيامه بحق نفسه التى أمر الله تعالى أن يقوم بها لااستجلابا لحظه ولكن ليقوم بحق ربه فى نفسه وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ولذلك كان عند الفقهاء اذا نذر المشى الى مكة شرفها الله حافيا جازله ان ينتعل ولا يلزمه الحفاء لانه ليس للشرع فى متاعب العباد قصد خاص ولم تات الشرائع بمنع الملاذ للعباد وكيف وهى مخلوقة من أجلهم * قال الربيع بن زياد الحارثى لعلى رضى الله عنه اسعدنى على أخى عاصم قال ماباله قال لبس العباء يريد النسك فقال على رضى الله عنه على به فاتى به مؤتزرا بعباءة مترديا باخرى شعث الرأس واللحية فعبس فى وجهه وقال ويحك أما استحييت من أهلك اما رحمت ولدك أترى ان الله تعالى أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيأ بل أنت أهون على الله أما سمعت من الله يقول فى كتابه والارض وضعها للانام الى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان افترى من الله أباح هذا للعباد الا ليبتذلوه ويحمدوا الله عليه فيثيبهم وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال قال عاصم فما بالك فى خشونة مأكلك وخشونة ملبسك قال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس فقد تبين لك من على رضى الله عنه ان الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول الملذوذات وانما طالبهم بالشكر عليها اذا تناولوها فقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ولم يقل لاتأكلوا وانما قال كلوا واعملوا * فان قلت الطيبات فى هاتين الآيتين المراد بها الحلال اذ هو الطيب باعتبار نظر الشرع * فاعلم انه يمكن أن يكون المراد بالطيبات الحلال لانه طيب باعتبار انه لم يتعلق به اثم ولا مذمة ولا تبعة ويمكن ان يكون المراد بالطيبات الملذوذات من المطاعم ويكون سرا باحتها والامر باكلها ليجد متناولها لذاذتها فتنشط همته للشكر فيقوم بوجود الخدمة ويرعى حق الحرمة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لى شيخى يابنى برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ثم قال وأما الذى دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته فقيل له ألا ترفعها فقال حين وضعتها لم تكن شمس وأنا أستحى أن أمشى لحظ نفسى فانه صاحب حال لا يقتدى به (انعطاف) قد مضى قولنا فى سر احواج الحيوان وهذا الآدمى خصوصا الى وجود تغذية تمدة له فالآن نتحدث فى تكفل الحق تعالى بهذه التغذية وقيامه بايصالها فاعلم ان الحق تعالى لما أحوج الحيوان الى مدد يمده وتغذية يكون بها حفظ وجوده وكان هذان الجنسان اللذان هما الانس والجان خلقا ليأمرهما بعبادته ويطالبهما بطاعته وموافقته فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فبين تعالى انه انما خلق هذين الجنسين لعبادته أى ليأمرهم بها كما تقول لعبدك مااشتريتك أيها العبد الا لتخدمنى أى لآمرك بالخدمة فتقوم بها وقد يكون العبد مخالفا متأبيا ولم يكن شراؤك اياه لذلك وانما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك وأهل الاعتزال يجعلون الآية على ظاهرها فيه ولون الحق خلقهم للطاعة والكفر والمعصية من قبل أنفسهم وقد أبطلنا هذا المذهب قبل * وفى تبيين سر الخلق والايجاد اعلام للعباد وتنبيه لماذا خلقوا كى لايجهلوا مراد الله تعالى فيهم فيضلوا عن سبيل الهداية ويهملوا وجود الرعاية وقد جاء ان أربعة من الملائكة يتجاوبون كل يوم فيقول أحدهم ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر وياليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر وياليتهم اذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ويقول الرابع وياليتهم اذا لم يعملوا بما علموا

فر بما رحت الى نار تتاجج وترمى نفسك فيها عمدا هذا زمان اجتماع قل ما تجلس مجلسا الاوتعصى الله فيه فكثير من السلف آثروا الجلوس فى بيوتهم وتركوا صلاة الجماعة فان طالبتك النفس بالخروج فاشغلها بالقعود فى الدار بشئ من الطاعة فان الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الاسلام ولكن الكلاب لاترقد على الحيطان بل على المزابل من أراد أن ينظر الى أمثلة القلوب فلينظر الى الديار فدار خربت وقد بقيت مبولة للبوالين وقلب كالدار العامرة وقلب كالدار الخراب لاتظهر شمسك حتى تعامل الله فتصدق كل يوم ولو بربع درهم حتى يكتبك الله فى دوان المتصدقين واتل من القرآن كل يوم ولو آية حتى يكتبك الله فى دوان التالين وصل فى الليل ولو ركعتين حتى يكتبك الله مع القائمين واياك تغلط وتقول من عنده قوت يوم بيوم كيف يتصدق قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فمثال المسكين اذا تصدق عليه كالمطية تحمل زادك للآخرة من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات من صدق مع الله كفاه الله مضرة الاعداء وحمل عنه مؤنة الارداء قد هان كل الهوان من احتاج الى الخلق أتظن ان الدواء حلو تأكله ان لم تهجم عليه هجما لم يحصل لك الشفاء فاهجم على التوبة ولاتغلبنك حلاوة المعصية واذا رأيت نفسك متطلعة الى الشهوة فاهرب الى الله واستغث به فانه ينجيك منها بدل ماتقول أين أصحاب الخطوة أين الاولياء أين الرجال قل أين البصيرة هل يصلح للمتلطخ بالعذرة أن يرى بنت السلطان عن الشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله عنه انه قال كنت بالاسكندرية فرأيت شمسا قد طلعت مع

تابوا ماعملوا فبين الحق تعالى أنه ماخلق العباد لانفسهم انما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه فانك لا تشترى عبدا ليخدم نفسه انما تشتريه ليكون لك خادما فهذه الآية حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه وبهواه عن طاعة مولاه ولذلك سمع ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه وهو كان سبب توبته لما خرج متصيدا هاتفا يهتف به من قربوس سرجه يا ابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم سمع الثانية يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فالفقيه من فهم سر الايجاد فعمل له وهذا هو الفقه الحقيقي الذى من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى وفيه قال مالك رحمه الله ليس الفقه بكثرة الرواية وانما الفقه نور يضعه الله فى القلب * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه فن فتحه عن الله سر الايجاد بانه ما أوجده الا لطاعته وماخلقه الا لخدمته كان هذا الفقه منه سببا لزهده فى الدنيا واقباله على الاخرى واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا فى المعاد قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم لو قيل لى غدا تموت لم أجد مستزادا وقال بعضهم وقد قالت له أمه يا بنى مالك لا تأكل الخبز فقال بين مضغ الخبز وأكل الفتيت قراءة خمسين آية فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار ترقب هول المطلع وأهوال يوم القيامة وملاقاة جبار السموات والارض فغيبهم ذلك عن الاستيقاظ الا لهذه الدار والميل الى مسراتها حتى قال بعض العارفين دخلت على بعض المشايخ بالمغرب فى داره فقمت لاملأ ماء للوضوء فقام الشيخ ليملأ عنى فابيت فأبى الا أن علا وأمسك طرف الحبل بيده وفى الدار عنده بجانب البئر شجرة زيتون قد حمت على الدار فقلت ياسيدى لم لا تربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة فقال أوهاهنا شجرة ان لى فى هذه الدار ستين عاما ما أعرف ان فى هذه الدار شجرة * فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها تعلم ان لله عبادا أشغلهم به عن كل شئ ولم يشغلهم عنه شئ أذهل عقولهم عظمته وأدهش نفوسهم هيبته فاستقر فى أسرارهم وده ومحبته جعلنا الله منهم ولا أخرجنا عنهم ومثل هذه الحكاية كان رجل بالصعيد من الاولياء بمسجد طلب منه أحد من يخدمه ان يأخذ جريدة من احدى نخلتين كانتا فى المسجد فاذن له فقال ياسيدى من أيهما آخذ من الصفراء أو من الحمراء فقال يا بنى ان لى بهذا المسجد أربعين عاما لا أعرف الصفراء من الحمراء * ويحكى عن بعضهم انه كان يعبر عليه أولاده فى داره فيقول من هؤلاء أولاد من هؤلاء فيقال له أولادك فكان لا يعرفهم حتى يعرف بهم لاشتغاله بالله تعالى وكان بعض المشايخ يقول فى أولاده اذا رآهم هؤلاء الايتام وان كان أبوهم حيا والاسترسال عن هذه اللامعة يخرجنا عن غرض الكتاب *(انعطاف)* لما قال تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون علم سبحانه وتعالى ان لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها تشوش عليهم صدق التوجه الى العبودية فضمن لهم الرزق كى لا يتفرغوا لخدمته وكى لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته فقال ما أريد منهم من رزق أى ما أريد منهم ان يرزقوا أنفسهم فقد كفيتهم ذلك بحسن كفايتى وبوجود ضمانى وما أريد أن يطعمون لانى أنا القوى الصمد الذى لا يطعم ولذلك عقبه بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين أى ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق لهم وما أريد أن يطعمون لانى أنا ذو القوة ومن له القوة فى ذاته غنى عن ان يطعم أو يطعم فتضمنت هذه الآية الضمان للعباد بوجود أرزاقهم لقوله تعالى ان الله هو الرزاق والزم المؤمنين أن يوحدوه فى رزقه وان لا يضيفوا شيأ منه الى خلقه وان لا يضيفوا ذلك الى أسبابهم وأن لا يسندوه الى اكتسابهم * وقد قال الراوى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر سماء كانت من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قلنا لا يارسول الله قال قال ربكم أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ففى هذا الحديث فائدة عظمى للمؤمنين وبصيرة كبرى للموقنين وتعليم الادب مع رب العالمين ولعل هذا الحديث يكون أيها المؤمن ناهيا لك عن التعرض الى علم الكواكب

الشمس فتعجبت من ذلك فدنوت منه فاذا شاب قد خط عذاره قد غلب نوره على نور الشمس فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له من أين فقال صليت الصبح فى المسجد الاقصى ببيت المقدس وأصلى الظهر عندكم والعصر بمكة والمغرب بالمدينة فقلت له تكون ضيفى قال لا سبيل الى ذلك ثم ودعنى وانصرف من أكرم مؤمنا فكأنما أكرم الله ومن آذى مؤمنا فقد آذى سيده ومولاه فاياك أن تؤذى مؤمنا فان نفسك قد امتلأت بمساويها يكفيك حالك ما مثالك الا كالبصلة اذا قشرت خرجت كلها قشورا اذا أردت تنظيف الماء قطعت عنه أسبابه الخبيثة فمثال الجوارح كالسواقى تجرى الى القلب فاياك أن تسقى قلبك بالردى كالغيبة والنميمة والكلام السيئ والنظر الى ما لا يحل وغير ذلك فان القلب لا يعجبه ما خرج منه وانما يعجبه ما قام فيه فاستنارة القلب باكل الحلال والذكر وتلاوة القرآن وصونه عن النظر الى الكائنات المباحات والمكروهات والمحرمات فلا تطلق صائد بصرك الا لمزيد علم أو حكمة عوض ما تقول هذه المرآة صدئت قل عينى بها رمد يكون بك حب الرياسة والجاه وغيرهما وتقول الشيخ ما يجذب فلو بناقل العاتق منى لواسـتعددت فى أول يوم لما احتجت الى حضور مجلس ثان وانما احتجت الى التكرار لقوة صداء قلبك حتى تكون لكل جلسة صقلة عليك بالحوالة على مولاك واترك من لا يستطيع أن ينفع غيره اقطع اياسك من الخلق ووجه رجاءك الى الملك الحق وانظر ماذا عملت وماذا عمل معك من أول نشأتك ماصنع معك الا جودا واحسانا وانظر ماذا صنعت

واقترانانها

واقترانانها ومانعالك ان تدعى وجود تأثيراتها * واعلم ان الله تعالى فيك قضاء لا بدان ينفذه وحكما لا بدان يظهره فما فائدة التجسس على علم علام الغيوب وقد نهانا سبحانه أن نتجسس على عباده فقال ولا تجسسوا فكيف لنا ان نتجسس على غيبه ولقد أحسن من قال

خبرا عنى المنجم انى * كافر بالذى قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا * ن قضاء من المهيمن واجب

(فائدة) اعلم ان مجىء هذه الصيغة على بناء فعال يقتضى المبالغة فيما سيقت له فرزاق أبلغ من رازق لان فعال فى باب المبالغة أبلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة لتعداد أعيان المرزوقين ويمكن أن تكون لتعداد الرزق ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا (فائدة) أخرى ترجع الى علم البيان * اعلم ان الدلالة على المعنى المقصود به وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل فقولك زيد محسن أبلغ من قولك زيد يحسن أو قد أحسن وذلك لان الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والافعال أصل وضعها التجدد والانقراض فلذلك كان قوله تعالى ان الله هو الرزاق أبلغ من قوله ان الله هو يرزق ولو قال ان الله هو يرزق لم يفد الا اثبات الرزق له ولم يفد حصر ذلك فيه فلما قال ان الله هو الرزاق أفاد ذلك انحصار الرزق فيه فكأنه لما قال ان الله هو الرزاق فقد قال لا رازق الا الله * الآية الثانية فى أمر الرزق قوله تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم تضمنت هذه الآية الكريمة فائدتين (الاولى) ان الخلق والرزق مقترنان أى كما سلمتم لله بانه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه فكذلك سلموا له انه الرزاق ولا تدعوا ذلك معه أى كما انفرد فيكم بالخلق والايجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والامداد فقرنهما للاحتجاج على العباد ونهيا لهم ان يشهدوا رزقه من غيره واحسانه من خلقه وانه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب كذلك هو الرزاق من غير ان يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب (الفائدة الثانية) انه أفاد تعالى بقوله الله الذى خلقكم ثم رزقكم ان الرزق قد أمضى شانه وأبرم أمره وليس للقضاء فيه أمر يتجدد فى الاحيان ولا يتعاقب بتعاقب الزمان وانما يتجدد ظهوره لا ثبوته والرزق يطلق على قسمين على ما سبق فى الازل قضاؤه وعلى ما ظهر بعد وجود العبد ابداؤه والآية تحتمل الوجهين فان كان المراد ما سبقت به الاقدار فثم لترتيب الاخبار وان كان المراد رزق الاظهار فهى تنبيه للاعتبار وسر الآية التى سيقت من أجله اثبات الالهية لله تعالى كأن يقول يامن يعبد غير الله الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فهل تجدون هذه الاوصاف لغيره أم يمكن أن تكون لاحد من خلقه فمن انفرد بها ينبغى ان يعترف بالاهيته ويوحد فى ربوبيته ولذلك قال بعد ذلك هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون * الآية الثالثة فى أمر الرزق قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى * وفى هذه الآية فوائد *(الاولى)* يجب أن تعلم ان النبى عليه السلام وان كان هو المخاطب بهذه الآية فحكمها ووعدها متعلق بامته أيضا فكل عبد مقول له وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى واذ قد فهمت هذا فاعلم ان الله أمرك أيها العبد أن تأمر أهلك بالصلاة لانه كما يجب عليك ان تصل أرحامهم باسباب الدنيا والايثار بها كذلك يجب عليك ان تصلهم بان تهديهم الى طاعة الله تعالى وتجنبهم وجود معصيته وكما كان أهلك أولى ببرك الدنيوى كذلك هم أولى ببرك الاخروى ولانهم رعيتك وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال تعالى فى الآية الاخرى وانذر عشيرتك الاقربين كما قال ههنا وأمر أهلك بالصلاة *(الفائدة الثانية)* انظر الى أنه تعالى أمره عليه السلام فى الآية ان يأمر أهله قبل ان يأمر هو نفسه بالاصطبار عليها ليعلمك ان الآية سيقت للامر بامر الاهل بالصلاة وان غير هذا

معه فلا ترى الا جفاء وعصيانا فما أكثره والاتك للمخلوقين وما أقل موالاتك لله جوارحك غنمك وأنت الراعى والله هو المالك فان رعيتها فى المرعى الخصيب حتى أرضيت المالك استوجبت الرضا وان رعيتها فى المرعى الوخيم حتى أعجف أكثرها ثم جاء الذئب فاخذ بعضها استوجبت العقوبة من المالك فان شاء انتقم منك وان شاء عفا عنك اما ثواب الى الجنة واما عقابك بالنار فان صرفتها فيما يرضاه كنت ساعيا فى طريق الجنة والا كنت ساعيا فى طريق النار فهذه موازين الحكمة فزن بها عقلك كما تزن بها الاشياء المحسوسات فان أردت ان تعرف كيف تمر على الصراط فانظر حالك فى الاسراع الى المساجد فيكون جزاء الذى يأتى المسجد قبل الاذان ان يمر على الصراط كالبرق الخاطف والذى يأتى فى أول الوقت يمر عليه كاجاويد الخيل وههنا صراط الاستقامة لا يشهد بالابصار ولكن تشهد القلوب قال الله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولم يشر الا الى موجود فمن أضاءت له الطريق يتبعها ومن كانت طريقه مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيرا فان كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك فقيد الآن ما أطلقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وذلك لانهم سبقوا فى الدنيا بالعبادات وأنت تترك الجماعة وتصلى وحدك واذا صليتها نقرتها نقر الديك وهل يهدى للملوك الا ما حسن وانتخب فما سبق الفقراء الى الجنة الا لانهم سبقوا الى خدمة المولى فى الدنيا والمراد بالفقراء الصبر الذين صبروا على مر الفاقة حتى ان أحدهم ليفرح

بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء فدخول الفقراء الجنة يدل على تخصيصهم على الفاقة كفى بك جهلا أن تتردد الى مخلوق وتترك باب الخالق فقدار تكبت المعاصي من كل جانب أفلا تكون محزونا على نفسك والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه ولا يأتيه الشر الا منها ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخير الا منه فان قيل كيف الصحبة لله فاعلم ان صحبة كل شئ على حسبه فصحبة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وصحبة الملكين أن تملي عليهما الحسنات وصحبة الكتاب والسنة أن تعمل بهما وصحبة السماء بالتفكر فيها وصحبتك الارض بالاعتبار لما فيها وليس من لازم الصحبة وجود الرتبة فالمعنى في صحبة الله صحبة أياديه ونعمه فمن صحب النعم بالشكر وصحب البلايا بالصبر وصحب الاوامر بالامتثال والنواهي بالانزجار والطاعة بالاخلاص فقد صحب الله تعالى فاذا تمكنت الصحبة كانت خلة اياك أن تقول ذهب الخير وانطوى بساطه فلسنا نريد من يقنط الناس من رحمة الله ويؤيسهم منه تعالى ففي زبور داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ارحم ما أكون بعبدي اذا أعرض عني فرب مطيع هلك بالعجب ورب مذنب غفر له بسبب كسر قلبه عن الشيخ مكين الدين الاسمر انه قال رأيت بالاسكندرية عبدا مع سيده وعليهما لواء قد أطبق ما بين السماء والارض فقلت يا ترى هذا اللواء للسيد أم للعبد فتبعتهما حتى اشترى له سيده حاجة لا وفارقه فلما ذهب العبد ذهب اللواء معه فعلمت أنه ولي من أولياء الله تعالى فجئت الى سيده وقلت له أتبيعني هذا العبد فقال لماذا فمازال بي

انما جاء بطريق التبع وان كان مقصودا في نفسه لكنه لما علم العبد انه مامور في نفسه بالصلاة علما لا شك فيه فاراد الحق تعالى ان ينبه العباد على ما لعلهم ان يهملوه فامر رسوله بذلك ليسمعوا بذلك فيتبعوا فيكونوا لذلك مسارعين على القيام به مثابرين *(تنبيه)* اعلم انه يجب عليك ان تامر أهلك بالصلاة من زوجة أو أمة أو ابنة أو غير ذلك ولك ان تضربهم على تركها وليس لك عند الله من حجة ان تقول أمرت فلم يسمعوا فلو علموا انه شق عليك ترك الصلاة كما يشق عليك اذا أفسدوا طعاما أو تركوا شيأ من أمر مهماتك ما تركوا بل اعتادوا منك أن تطالبهم بحظوظ نفسك ولا تطالبهم بحقوق الله تعالى فلاجل ذلك أهملوها ومن كان محافظا على الصلاة وعنده أهل لا يصلون وهو غير آمر لهم بها حشر يوم القيامة في زمرة المضيعين للصلاة فان قلت اني أمرتهم فلم يفعلوا ونصحتهم فلم يقبلوا وعاقبتهم على ذلك بالضرب فلم يكونوا له فاعلين فكيف أصنع فالجواب انه ينبغي لك مفارقة من يمكن مفارقته ببيع أو طلاق والاعراض عمن لا يمكن بينونته عنك بذلك وأن تهجرهم في الله فان الهجر في الله يوجب الصلة به *(الفائدة الثالثة)* قوله تعالى واصطبر عليها فيه اشارة الى أن في الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتي في أوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يدي الله تعالى والفراغ عما سوى الله ألا ترى ان صلاة الغداة تاتيهم في وقت منامهم في وقت ألذ ما يكون المنام فيه فطالب الحق منهم ترك حظوظهم لحقوقه ومرادهم لمراده ولذلك كان في نداء الصبح خاصا به الصلاة خير من النوم مرتين وأما صلاة الظهر فانها تاتيهم في وقت قيلولتهم ورجوعهم من تعب أسبابهم وأما صلاة العصر فانها تاتيهم وهم في متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون وأما صلاة المغرب فانها تاتي في وقت تناولهم لاغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم وأما صلاة العشاء فانها تاتي وقد كثرت عليهم متاعب الاسباب التي كانوا فيها في بياض نهارهم فلذلك قال سبحانه واصطبر عليها وقال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد قال وأقيموا الصلاة ومما يدلك على ان في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قول الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى أنه محتاج في الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بواجباتها ومسنوناتها وصبر يمنع القلوب فيها من غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ما قلناه أو لان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان أحدهما هو عين الآخر كما قال في الآية الاخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها فافهم والصلاة شأنها عظيم وأمرها عند الله جسيم ولذلك قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الاعمال أفضل قال الصلاة لوقتها وقال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وقال أقرب ما يكون العبد من ربه في السجود ورأينا أن الصلاة اجتمع فيها من العبادات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة واستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والسجود والدعاء في السجود الى غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذلك التسبيح والدعاء والركوع والسجود والقيام فكل واحد منها بمجرده عبادة ولولا خشية الاطالة لبسطنا الكلام في أسرارها وشوارق أنوارها وهذه اللمعة ههنا كافية والحمد لله ((الفائدة الرابعة)) قوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك وكيف نامرك بذلك ونكلفك الى أن ترزق نفسك وأنت

حتى ذكرت له أمره فقال لي يا سيدي الذي تطلبه أنت أنا أولى به واعتقه وكان وليا كبيرا فمنهم من يعرف الاولياء بالشم من غير وجود طيب ومنهم من يعرف بالذوق اذا رأى وليا ذاق طعم الحلاوة في فمه واذا رأى صاحب قطيعة ذاق طعم المرارة في فمه من لم يترك المحرمات لم ينفعه القيام بالواجبات من لم يحتم لم ينفعه الدواء ما قل بركة مال وقعت فيه أيدي الناهبين فهذا والله عمر الغافلين منهوب مثال الدنيا كعجوز جذماء برصاء سترت بثوب حرير فالمؤمن نافر ومنفر عنها لانكشافها له وما لبس أحد لباسا أنتن من لباس الدعوى بان يقول في المخاصمة أنت مثلي وأنت يصلح لك ان تكلمني ومن أنت حتى أكلمك فاول من هلك بذلك ابليس فاياك وهذا ولو كان أعرج أجذم أجرب فلا تحقره لحرمة لا اله الا الله في قلبه وحسن ظنك بكل أحد تفلح أتحسب أن حسن الخلق هو أن يكون الانسان حسن الملتقى ومن أكرم الناس وضيع حقوق الله ليس هذا بخلق حسن بل لا تكون ممدوحا بحسن الخلق حتى تكون قائما بحقوق الله تعالى وقائما باحكامه مستسلما لاوامر الله مجتنبا لنواهيه فمن منع نفسه معاصي الله وأدى حقوق الله فقد حسن خلقه ما سلط الله عليك ألسنة العباد الا لترجع اليه لا تزال لك قيمة عند الله حتى تعصي فاذا عصيت فلا قيمة لك التقوى هي ترك معصية الله حيث كنت لا يراك أحد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب الماء قال الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وهو صلى الله عليه وسلم مقدس عن الذنوب ولكن تواضعا منه وتعليما وكان يمكنه ان يقول

لا تستطيع ذلك وكيف يحمد بنا أن نامرك بالخدمة ولا نقوم لك بالقسمة فكأنه سبحانه لما علم ان العباد ربما يشوش عليهم طلب الرزق في دوام الطاعة ويحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة فخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا فقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شئ ضمنه الله لك فلا تتبعه وشئ طلب منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود فكيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك يضمون لك منها ما يقوم باودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا وأتى قوله تعالى نحن نرزقك على هذه الصيغة ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لان قولك أنا أكرمك ليس كقولك أنا أكرمتك لان قولك أنا أكرمك يدل على اكرام بعد اكرام وقولك أنا أكرمتك لا يدل الا على ان ثم اكراما كان وقوعه فيما مضى من غير ان يدل على التكرار والدوام فقوله تعالى نحن نرزقك أي رزقا بعد رزق لا نعطل عنك مننا ولا نقطع عنك نعمتنا وكما تفضلنا على العباد بالايجاد فكذلك أيضا نقنا لهم بدوام الامداد ثم قال تعالى والعاقبة للتقوى كأنه تعالى يقول نحن نعلم اذا تبتلت لخدمتنا وتوجهت لطاعتنا معرضا عن أسباب الدنيا تاركا للدخول فيها والاشتغال بها لا يكون رزقك فيها رزق المترفين ولا عيشك عيش المتوسعين ولكن اصطبر على ذلك فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى في أول الآية الاخرى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فان قلت لماذا خص التقوى بالعاقبة وأهل التقوى لهم مع العاقبة العيشة الطيبة في الدنيا لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فاعلم انه تعالى يخاطب العباد على حسب عقولهم فكأنه يقول أيها العباد ان نظرتم ان لاهل الغفلة والعدوان بداية فلاهل التقوى والايمان نهاية والعاقبة للتقوى فخاطب العباد على حسب ما تصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم كما جاء الله أكبر وان كان غيره لم يشاركه في الكبرياء لكن لما كانت النفوس قد تشهد كبرياء الآثار كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فكأنه يقال لها ان كان ولا بد وشهدت لشئ كبرياء فالله عز وجل أكبر منه وأكبر من كل كبير كما جاء الصلاة خير من النوم فلو قيل ليس في النوم خير قالت النفوس قد أدركت لذاذته وراحته فسلم لها ما أدركت ثم قيل لها ما دعوناك اليه خير مما هو خير عندك الصلاة خير من النوم لان ما ملت اليه من المنام عرض يفنى وما دعوناك اليه معاملة يبقى جزاؤها ما ينفي وما عند الله خير وأبقى (فائدة جليلة) اعلم ان الآية علمت أهل الفهم عن الله كيف يتطلبون رزقه فاذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة لان هذه الآية دلتهم على ذلك ألا ترى انه قال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك فجاء الوعد بالرزق بعد أمرين أحدهما أمر الاهل بالصلاة والآخر الاصطبار عليها ثم بعد ذلك قال نحن نرزقك ففهم أهل المعرفة بالله انه اذا توقفت عليهم أسباب المعيشة قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق لا كاهل الغفلة والعمى اذا توقفت عليهم أسباب الدنيا ازدادوا كدحا عليها وتهافتا فيها بقلوب غافلة وعقول عن الله ذاهلة وكيف لا يكون أهل الفهم عن الله تعالى كذلك وقد سمعوا الله تعالى يقول وأتوا البيوت من أبوابها فعلموا ان باب الرزق طاعة الرزاق فكيف يطلب منه رزقه بمعصيته أم كيف يستمطر فضله بمخالفته وقد قال عليه السلام انه لا ينال ما عند الله بالسخط أي لا يطلب رزقه الا بالموافقة له وقال سبحانه وتعالى مبينا لذلك

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءغدقا الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن التقوى مفتاح الرزقين رزق الدنيا ورزق الآخرة كما قال الله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فبين سبحانه وتعالى انهم لو أقاموا التوراة والانجيل أى عملوا بما فيهما لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أى لوسعنا عليهم أرزاقهم وأدمناعليهم انفاقنا لكنهم لم يفعلوا ما نحب فلاجل ذلك لم نفعل بهم ما يحبون *(الآية الرابعة)* فى أمر الرزق قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فهذه الآية صرحت بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر على قلوب المؤمنين فان وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الايمان بالله والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فقوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ضمان تكفل به لعباده تعريفا وودادة ولم يكن ذلك واجبا عليه بل أوجبه على نفسه ايجاب كرم وتفضل ثم انه عمم الضمان فكانه يقول أيها العبد ليست كفالتى ورزقى خاصا بك بل كل دابة فى الارض فانا كافلها ورازقها وموصل الهاقوتها فاعلم بذلك سعة كفالتى وغنار بوبيتى وان الاشياء لا تخرج عن احاطتى وثق بى كفيلا واتخذنى وكيلا فاذا رأيت تدبيرى لاصناف الحيوانات ورعايتى لها وقيامى بحسن الكفالة بها وأنت أشرف هذا النوع فانت أولى بان تكون بكفالتى واثقا ولفضلى رامقا ألا ترى كيف قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم على سائر أجناس الحيوان أى اذ دعوناهم الى خدمتنا ووعدناهم دخول جنتنا وخطبناهم الى حضرتنا ومما يوضح لك كرامة الآدمى على غيره من المكونات ان المكونات مخلوقات من أجله وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول قال الله سبحانه يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له وقال سبحانه وتعالى والارض وضعها للانام وقال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسمعت الشيخ رحمه الله يقول الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما فقد بين لك ان السموات والارض مخلوقة من أجل ان تعلم أيها الآدمى فاذا علمت أن الاكوان مخلوقة من أجلك اما انتفاعا واما اعتبارا وهو نفع أيضا فينبغى لك ان تعلم ان الله تعالى اذا رزق من هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقا ألم تسمع كيف قال تعالى وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم وقوله تعالى ويعلم مستقرها ومستودعها تأكيد لانه المتكفل بها أى لا يخفى عليه مكانها ولا ينبهم عليه شأنها بل يعلم مكانها فيوصل اليها ما قسم لها *(الآية الخامسة)* فى شأن الرزق قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت فى قلوبهم أنوار اليقين فاوردت على قلوبهم الزوائد لما تضمنته من الفوائد وذلك انها تضمنت ذكر الرزق ومحله والقسم عليه والتشبيه له بامر لا خفاء به ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة *(الفائدة الاولى)* اعلم انه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس فى شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت وروده عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة اذا علمت ان الشبهة متمكنة فى نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد فى آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا أن يعود الانسان بعد ان تمزقت أوصاله واضمحل بناؤه وصار ترابا أو أكلته السباع والهوام فاحتج عليهم فى كتابه العزيز حججا كثيرة منها قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة

بذنوبكم وما أكل صلى الله عليه وسلم ولا شرب الا ليعلمنا الادب والا فكان عليه الصلاة والسلام يطعم ويسقى فالعارف ينكس رأسه اذا شرب وربما تقطر عيناه بالدموع ويقول هذا تودد من الله تعالى كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه منهم مالك بن انس رضى الله عنه لان الجماعة ربح والربح لا يحسب الا بعد الاحاطة على رأس المال ليس السباع فى البرية بل السباع فى الاسواق والطرق وهى التى تنهش القلوب نهشا مثال من يكثر الذنوب والاستغفار كمثل من يكثر شرب السم ويكثر استعمال الترياق فيقال له قد لا تصل الى الترياق مرة فيهجم عليك الموت قبل الوصول اليه من مرض قلبه منع ان يلبس لباس التقوى فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة تحملت أثقال التقوى فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضا بقوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض ولك فى علاجه طريقان استعمال ماهو لك نافع وهو الطاعة واجتناب ماهو لك مضر وهو المعصية فان فعلت ذنبا أعقبته بالتوبة والندم والانكسار والانابة كان ذلك سبب وصلتك به وان فعلت طاعة فاعقبتها بالعجب والكبر كان ذلك سببا القطيعة عنه عجبا لك كيف تطالب صلاح قلبك وجوارحك تفعل ماشاءت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك فمثالك كمن يتداوى بالسم أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسواد فعليك بالخلوة والعزلة فمن كانت العزلة دأبه كان العزلة فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له

وبقوله

وبقوله فى الآية الاخرى وهو أهون عليه وبقوله تعالى ان الذى أحياها لمحيي الموتى الى غير ذلك وكذلك لما علم الحق تعالى شدة اضطراب النفوس فى أمر الرزق أكد الحجة فى ذلك فى آيات عديدة منها ما تقدم ذكره ومنها مالم نذكره فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد وقال تارة ان الله هو الرزاق وقال أخرى الله الذى خلقكم ثم رزقكم وقال أخرى نحن نرزقك وقال أخرى أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وقال ههنا وفى السماء رزقكم وما توعدون ليبين محل الرزق فتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع ابهام المحل كالضمان مع تبيينه فكانه تعالى يقول لم يكن يجب علينا أن نبين لكم محل رزقكم لكم عند الرزق توصله لكم اذا جاء ابانه وليس علينا بيانه ولكن بلطفه ورحمته وفضله ومنته بين محل الرزق ليكون ذلك أبلغ فى ثقة النفوس به وأقوى فى دفع الشك فيه وفيه فائدة أخرى وهو انه تضمن تبيين المحل رفع هممهم الخلق عن الخلق وأن لا يطلبوا الامن الملك الحق وذلك اذا وقع فى قلبك طمع فى مخلوق أو حوالة على سبب قال لك الحق تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون أى يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز فى الارض ليس رزقك عنده انما رزقك عندى وأنا الملك القادر ولاجل هذا انه لما سمع بعض الاعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا الى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فانظر رحمك الله كيف فهم عن الله ان مراده بهذه الآية أن يدفع همم عباده اليه وأن يكون رغبتهم فيما لديه كما قال فى الآية الاخرى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لتحاش الهمم الى بابه ولتجنح القلوب الى جنابه فكن رحمك الله سماويا علويا ولا تكن سفليا أرضيا ولذلك قال بعضهم

اذا أعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا جسمه فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمم عن الخلق واذكر أيها الاخ رحمك الله ههنا قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العزة التى أعز الله بها المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ما سواه واستح من الله أن تكون بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولى عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجودا حسانا ولذلك قال بعضهم

أبعد نفوذى فى علوم الحقائق * وبعد انبساطى فى مواهب خالقى

وفى حين اشرافى على ملكوته * أرى باسطا كفى الى غير رازقى

فان كلفتك النفس الغافلة عن مولاها بان ترفع حاجتك الى المخلوقين فارفعها الى من يرفع ذلك المخلوق حاجته اليه وهين على النفس ان تهين ايمانك لتحصيل هواها وان تذلك لتبلغ مناها كما قال بعضهم

تكلفت اذلالا لنفسى لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن اكثم * فقلت سلى رب يحيى بن اكثما

وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته ويسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك من كل أحد قبيح ومن المؤمن أقبح وليذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التى عاقدته عليها أن لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه وذلك لازم اقرارك له بالربوبية يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى فكيف تعرفه وتوحده هنالك وتجهله هنا وقد تواتر عليك احسانه وعمرك فضله وامتنانه كما قال بعضهم

فى القلب لكم منزلة عليه * لا تسكنها سعدى ولا لمياء

فى الذر عرفتكم فهل يجمل بى * ان أنكركم ولحيتى شمطاء

بالمنن وعلامتها كشف الغطاء واحياء القلب وتحقيق المحبة فعليك بحسن العمل لا بكثرته كثرة العمل مع عدم الحسن فيه كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن وقلة العمل مع حسنه كالثياب القليلة الرفيعة الثمن كالياقوتة صغير جرمها كثير ثمنها فمن أشغل قلبه بالله وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم مثال من صلى الصلاة بغير حضور قلب كان كمن أهدى للملك ثمانمائة صندوق فارغة فيستحق العقوبة من الملك يذكره عليها دائما ومن صلاها بحضور القلب كان كمن أهدى له ياقوتة تساوى ألف دينار فان الملك يذكره عليها دائما اذا دخلت فى الصلاة فانك تناجى الله سبحانه وتعالى وتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم لانك تقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ولا يقال أيها الرجل عند العرب الا لمن يكون حاضرا ركعتان بالليل خير من ألف بالنهار وأنت لا تصلى فيه ركعتين الا تجد ذلك فى ميزانك وهل تشترى عبدا الا للخدمة هل رأيت عبدا يشترى ليأكل وينام ما أنت الا عبدا اشتريت قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون من لم يلزم نفسه لزمته ومن لم يطالبها طالبته فلو جعلت عليها الأثقال بالطاعة لما طالبتك بالمعصية ولما كانت تتفرغ لها وهل رأيت الصالحين والعباد يتفرجون فى الاعياد من شغل نفسه بالفرح والمباحات شغل عن قيام الليل فيقال له شغلت نفسك عنا فشغلناك عن عبادتنا ركعتان فى جوف الليل أثقل عليك

و رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بكذبه وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقد ابتلى الله بحكمته و جود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كمنوا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا باسطين لهم ملائمين لهم موافقين لهم على ما آربهم مدفوعين على أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما يتزين العروس مفتنون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق سبحانه وتعالى بسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعد ان كان نسبته ان لو صدق مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة بعدم صدقه فصار يقال فيه شيخ الامير أولئك الكذابون على الله الصادون للعباد عن صحبة أولياء الله لان مايشهده العموم منهم يحسبونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحلة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قول الله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قيل

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها
لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ماأبصرت عينى خيام قبيلة * الا بكيت أحبتى بفنائها

فقد علمت رحمك الله ان رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق ولنا فى هذا المعنى

بكرت تلوم على زمان أجحفا * فصدفت عنها علها ان تصدفا
لا تكثرى عتب الدهر انه * ما ان يطالب بالوفاء ولا الصفا
ماضرنى أن كنت فيه خاملا * فالبدر بدر ان بدا أو ان خفا
الله يعلم اننى ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتى * وأريهم عز الملوك وأشرفا
أريهم أنى الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمرى ان فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه * عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيما ترتجى * لا تعد عن أبوابه متحرفا

(الفائدة الثانية) يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى وفى السماء رزقكم ان يكون المراد اثبات رزقكم أى اثباته فى اللوح المحفوظ فان كان المراد كذلك فهو تطمين للعباد واعلام لهم ان رزقكم أى الشئ الذى منه رزقكم كتبناه عندنا وأثبتناه فى كتابنا وقضيناه بآياتنا من قبل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم فلاى شئ تضطربون ومالكم الى لا تسكنون وبوعدى لا تثقون ويحتمل أن يكون المراد وفى السماء رزقكم أى الشئ الذى منه رزقكم وهو الماء كما قال تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنه هو المطر فيكون قوله وفى السماء رزقكم أى الشئ الذى منه أصل رزقكم ولان الماء فى نفسه رزق *(الفائدة الثالثة)* يمكن أن يكون

مراد

من جبل أحد فاعضاء يبست عن الطاعة لا تصلح الا للقطع فان الشجرة اذا يبست لا تصلح الا للنار من أحب الدنيا بقلبه كان كمن بنى بناء حسنا فوقه مرحاض فرشح عليه فلا يزال كذلك حتى يرى ظاهره كباطنه ومنهم من ينقيه فلا يزال قلبه أبيض و تنقيته بالتوبة والاذكار والندم والاستغفار كذلك أنت فى حضرة الله ملوث بمعصيتك تأكل الحرام وتنظر المحرم فمن يفعل المخالفات والشهوات يظلم قلبه فان لم تتب فى حال الصحة ربما ابتلاك بالامراض والمحن حتى تخرج نقيا من الذنوب كالثوب اذا غسل فاصقل مرآة قلبك بالخلوة والذكر حتى تلقى الله تعالى وليكن قلبك ذاكرا فينبع لك الانوار ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئرا فيحفر ذراعا هنا وذراعا هنا فلا ينبع له ماء أبدا بل احفر فى مكان واحد فينبع لك الماء يا عبد الله دينك هو رأس مالك فان ضيعت رأس مالك فاشغل لسانك بذكره وقلبك بمحبته وجوارحك بخدمته واحرث وجودك بالمحارث حتى يجىء البذر فينبت ومن فعل بقلبه كما يفعل الفلاح بارضه أنار قلبه مثالك مثال رجلين اشتريا أرضا قياسا واحدا فاخذها الواحد فنقاها من الشوك والحشيش وأجرى بها الماء وبذرها فنبتت وجنى منها وانتفع بها فهذا كمن نشأ فى الطاعة قد أشرقت أنوار قلبه وأما الآخر فانه أهملها حتى نبت فيها الشوك والحشيش وبقيت ماوى للافاعى والحيات فهذا قد أظلم قلبه بالمعاصى اذا حضرت المجالس وخرجت الى المخالفات والغفلات فاياك تقول ماذا يفيد الحضور بل احضر يكون بك مرض أربعين سنة فتريد أن يذهب عنك

مراد الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء عن الارض لتعطل سبب كل ذى سبب من حارث وزارع وتاجر وخائط وكاتب وغير ذلك فكانه يقول ليست أسبابكم هى الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدى تيسير أسبابكم لانى أنا المنزل لكم مابه كانت أسبابكم وتمت أكسابكم *(الفائدة الرابعة)* فى اقتران الرزق بالامر الموعود فائدة جليلة وذلك ان المؤمنين لما علموا ان ما وعدهم الحق لابد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم فى جلبه فكانه سبحانه وتعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك فى أن عندنا ما ترزقون وكما انكم على استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربوبيتنا ووقتته الاهيتنا *(الفائدة الخامسة)* قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فى ذلك حجة عظيمة على العباد أن يكون الوفى الوعد الذى لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ماضمن لهم لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجود الارتياب فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية هلك بنو آدم أغضبوا ربهم الجليل حتى أقسم وقال بعضهم حين سمع هذه الآية سبحان الله من الجأ الكريم الى القسم ومن علمت ثقته بك لم تحتج الى القسم معه واذا علمت اضطرابه فى وعدك أقسمت له فهذه الآية سرت أقواما وأخجلت آخرين أما الذين سرتهم فهم الذين فى المقام الاول اذ زيد بها ايمانهم ورسخ بها ايقانهم فينتصروا بها على وساوس الشيطان وشكوك النفس وأما الذين أخجلتهم فانهم علموا ان الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة ووجود الاضطراب فاقامهم مقام أهل الشك فاقسم لهم فاخجلهم ذلك حياء منه وذلك مما أفادهم الفهم عنه ورب شئ واحد أوجب سرور أقوام وحزن آخرين على حسب تفاضل الافهام وواردات الالهام ألم تر انه لما أنزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فرح بها الصحابة وحزن بها أبو بكر رضى الله عنهم أجمعين لانه فهم منها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى وأخذ من ذلك أن الشئ اذا استتم خيف عليه من التراجع الى وجود النقصان كما قال

اذا تم شئ دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وعلم ان الامر لا يتقاصر مادام الرسول عليه السلام حيا وفرح الصحابة رضى الله عنهم لظاهر البشارة التى فيها ولم ينفذوا الى مانفذ اليه أبو بكر رضى الله عنه فظهر لذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم ماسبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى صدره والذى كان سابقا هو بعينه الذى أوجب أن يفهم مالم يفهم غيره ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وسمعت الشيخ أبا محمد المرجانى رحمه الله يقول قوم سمعوا هذه الآية الكريمة فاستبشروا بهذه المبايعة فابيضت وجوههم سرورا بها اذ أهلهم الحق أن يشترى منهم واذ أجل أقدارهم اذ رضيهم للشراء وسرورا بالثمن الجليل والثواب الجزيل وقوم اصفرت وجوههم خجلا من الله اذ اشترى منهم ماهو مالكه فلولا انه علم منهم وجود الدعوى الكامنة فى أنفسهم ودعوى المالكية منهم لها لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وكان للذين اصفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما انتهى كلام الشيخ فلو سلم المؤمنون من بقايا المنازعة ما أوقع عليهم مبايعة ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين ولم يقل من الانبياء والمرسلين ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشترى لخستها ونفس تشترى لكرامتها ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها (فالاولى) نفوس الكافرين لا يقع عليها الشراء لخستها

فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمثاله كرمل رمى فى موضع أربعين عاما فتريد أن يزول فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمن فعل المعاصى وتقلب فى الحرام لو انغمس فى سبعة أبحر لم تطهره حتى يعقد مع الله عقدة التوبة للطاهر جنابة تمنعك من دخول بيته وتلاوة كتابه وللباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته وفهم كلامه وهى الغفلة فاذا طلبت النفس الشهوات فالجمها بلجام الشرع فمثالها كالدابة اذا مالت لزرع غيرك فغمض الابصار عن ميلها الى المستحسنات والقلوب عن ميلها الى الشهوات وليكن قلبك معمورا لا يصلح لها على الدوام والحق سبحانه وتعالى اختار لحضرته من يصلح لها ٧ ومن رماد الكائنات فمثالهم كالعبيد يعرضون على الملك فمن أخذه الملك أعزه ومن لا يصلح بقى للرعية ما أتيت لوطن حكمة أو معصية الا وفى عنقك سلسلة نورانية أو ظلمانية فان كنت لا تشهدها أنت فغيرك يشهدها ألا ترى ان الشمس يشهدها الناس أجمعون الا من كان أعمى مافائدة العلم الا العمل به مثاله كملك كتب الى نائبه كتابا فما فائدة الكتاب أن تقرأه فقط انما فائدته العمل به مثال من يشتغل بالعلم وليس له بصيرة كمثل مائة ألف أعمى سلكوا طريقا متحيرين فيها فلو كان فيهم واحد بعين واحدة لتبعه الناس أجمعون وتركوا مائة ألف أعمى ومثال العلم مع ترك العمل كالشمعة تضئ للناس باحراق نفسها علم فيه الغفلة عن الله الجهل خير منه فمن أثمرت جوارحه فقد أمطر قلبه ولسانه بالذكر وعينيه بالغض وأذنيه بالاستماع الى العلم ويديه ورجليه بالسعى الى الخيرات من أكثر من مجالسة أهل هذا الزمان فقد

(والثانى) نفوس المؤمنين وقع عليها الشراء لكرامتها (والثالث) نفوس الانبياء والمرسلين لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها *(الفائدة السادسة) وهو انه تعالى أقسم بالربوبية الكافلة للسماء والارض ولم يقسم بغيرها من الاسماء وذلك لان الربوبية الكافلة للسماء والارض لا ينبغى أن يشك فى الثقة بها ومن شانها كفالة هذا العالم العظيم الذى أنت فيه واذا نسبت اليه كنت كلا شئ موجود فيه فذلك أبلغ فى وجود الثقة من أن يقول فورب السميع أو العليم أو الرحمن أو غير ذلك من الاسماء فافهم *(الفائدة السابعة)* قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق والحق هو ضد الباطل والباطل هو المعدوم الذى لا ثبات له والرزق حق كما ان الرزاق حق والشك فى الرزق شك فى الرزاق حتى كان بعضهم ينبش المقابر ثم تاب فقال لبعض العارفين نبشت ألف قبر فوجدتهم كلهم وجوههم محولة عن القبلة فقال عارف ذلك الزمان انما حول وجوههم عن القبلة تهمة الرزق *(الفائدة الثامنة)* قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون تأكيد فى اثبات الرزق وتقرير لحقيقته وانه لا ينبغى أن يرتاب فيه مؤمن ولا يشك فيه موقن وان ثبوته بشهد بصائر القلوب كثبوت المنطق الظاهر بشهد الابصار فنقل المعنى الى الصورة ومثل الغيب بالشهادة وقطع شك العباد فى أمر الرزق أى فكما انكم تنطقون لا تشكون فى ذلك لما أثبته العيان كذلك لا ترتابوا فى أمر الرزق فقد أثبته نور الايمان فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بامر الرزق وتكراره له وتبيين مواطنه وتنظيره وتمثيله بالامور المحسوسة التى لا يرتاب فيها شاهدها واقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والارض وكذلك تكرر فى كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه فقال ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه السلام طالب العلم تكفل الله رزقه الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى ذلك *(فائدة)* اعلم انه لا ينافى التوكل على الله فى أمر الرزق وجود السبب كما أشار اليه رسول الله عليه السلام لانه قال فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب فقد أباح الطلب ولو كان منافيا لمقام التوكل على الله لما أباحه لانه لم يقل لا تطلبوا انما قال أجملوا فى الطلب فكانه قال اذا طلبتم فاطلبوا مجملين أى كونوا مع الله فى الطلب متأدبين واليه مفوضين فقد أباح صلوات الله عليه وسلامه وجود الطلب والطلب من الاسباب وقد سبق قوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جواز الاسباب بل على الحث عليها والندب اليها وفى الاسباب فوائد منها ان الحق تعالى علم ضعف قلوب العباد وقصورهم عن مشاهدة القسمة وعجزهم عن صدق الثقة فاباح لهم الاسباب اسنادا لقلوبهم وتثبيتا لنفوسهم فكان ذلك من فضله عليهم *(الفائدة الثانية)* ان فى الاسباب صيانة للوجوه عن الابتذال بالسؤال وحفظا لبهجة الايمان أن تزول بالطلب من الخلق فما يعطيك الله من الاسباب فلا منة فيه لمخلوق عليك اذ لا يمن عليك أحد ان اشترى منك أو استأجرك على عمل شئ فانه فى حظه سعى ونفع نفسه قصد فالسبب أخذ منه بغير منة *(الفائدة الثالثة)* ان فى شغل العباد باسبابهم شغلا عن معصيته والتفرغ الى مخالفته ألا تراهم اذا تعطلت أسبابهم فى أعيادهم وغيرها كيف يتفرغ أهل الغفلة لمخالفة الله تعالى و ينهمكون فى معصية الله فكان شغلهم بالاسباب رحمة من الله عليهم *(الفائدة الرابعة)* ان فى الاسباب والقيام بها راحة بالمتجردين ومنة من الله على المتوجهين لطاعته والمتفرغين لها ولولا قيام أهل الاسباب بها فكيف كان يصح لصاحب الخلوة خلوته ولصاحب المجاهدة مجاهدته فجعل الحق تعالى الاسباب كالخدمة للمتوجهين اليه والمقبلين عليه *(الفائدة الخامسة)* ان الحق تعالى أراد من المؤمنين أن يتألفوا لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فكانت الاسباب سببا لتعارفهم وموجبة لتوادهم ولا ينكر

تعرض لمعصية الله تعالى مثاله كمن جعل الحطب اليابس فى النار و يريد أن لا تتقد فقد أراد محالا لانه قد ورد خص بالبلاء من عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم فربما جالست غير متق وكنت أنت متقيا فجرك الى الغيبة وقهرك فى نفسك ما خرب القلوب الاقلة الخوف القلب الحسن هو الذى لا يشغله عن الله حسن ان أردت شفاء قلبك فاخرج الى صحراء التوبة وحول حالك من الغيبة الى الحضور والبس ثياب الذلة والمسكنة فان القلب يشقى ولكنك تحشر بطنك وتتفاخر بالسمن فثالك كالخروف الذى يسمن للذبح الا فقد ذبحت نفسك وأنت لا تشعر لا يفتك مجلس الحكمة ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة فى سماع المجالس ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامى ان يرمى فان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا ولو كنت كيسا فطنا لكانت حقوق الله عندك أحظى من حظوظ نفسك ما يطلع على الاسرار الا أمين وأنت تعطى نفسك حظها من المآكل والمشارب حتى تملا بيت الخلاء أو يكفيك حب الدنيا ومن أحب الدنيا فقد خان ومن خان فهل يطلعه الملك على أسراره فاستعمل الافكار وعليه أنزل الانوار ما نفع القلب شئ مثل خلوة يدخل بها ميدان فكرة كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو منكب على شهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة و يقظة وعفة عدم الرضا

الاسباب

الاسباب الا جاهل أو عبد عن الله غافل ولم يبلغنا ان رسول الله عليه السلام لما دعا الناس الى الله أمرهم بالخروج عن أسبابهم ولكن أقرهم على ما يرضاه الله منها ودعاهم الى وجود الهدى والقرآن والسنة محشوان باثبات الاسباب ولقد أحسن من قال

ألم تر أن الله قال لمريم * اليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

اشارة الى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وظاهر صلوات الله عليه بين درعين يوم أحد وأكل عليه الصلاة والسلام القثاء بالرطب وقال هذا يدفع ضر هذا وذلك كثير * وفى قوله صلى الله عليه وسلم تغدو خماصا وتروح بطانا اثبات الاسباب أيضا لان غدوها ورواحها سبب أقيمت فيه فهو كغدو الآدميين الى مكاسبهم ورواحهم اليها والقول الفصل فى ذلك انه لا بد لك من الاسباب وجودا ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته * فان قلت فما هو الاجمال فى الطلب فى قوله عليه السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب * فاعلم ان الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة ونحن نذكر لك منها ما فتح الله به بفضله فاعلم رحمك الله ان الطالب للرزق على قسمين عبد يطلبه منهمكا عليه ومتوجها بكل همته اليه وذلك مما يصرف وجهته عن الله لان الهمة اذا توجهت لشئ انصرفت عما عداه * قال الشيخ أبو مدين رحمه الله ليس للقلب الا وجهة واحدة ان وجهته اليها انصرف عن غيرها وقد قال الحق سبحانه وتعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى ما جعل له من وجهتين فى وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه الى وجهتين فما توجه انسان الى وجهتين الا ويقع الخلل فى احدى الوجهتين والقيام بالاوجه كلها فى الوقت الواحد من غير أن يقع فى شئ منها خلل انما ذلك من شأن الالاهية ولذلك قال سبحانه وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله فافاد بذلك أنه متوجه لاهل السماء ولاهل الارض لا يشغله توجهه لاهل السماء عن توجهه لاهل الارض ولا توجهه لاهل الارض عن توجهه لاهل السماء ولا شئ عن شئ فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الالاهية فى الآية ولو لم يكررها لم يفد ذلك من هذا اللفظ بل مما يوجبه ما هو الحق عليه سبحانه فتبين لك من هذا ان من طلب الرزق مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به فليس مجملا فى الطلب ومن طلبه على غير ذلك فهو مجمل * ووجه ثان وهو ان الاجمال فى الطلب أن يطلب من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا سببا ولا وقتا فيرزقه الحق ما شاء كيف شاء فى أى وقت شاء وذلك من حسن الادب فى الطلب ومن طلب وعين قدرا أو سببا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه * ويحكى عن بعضهم أنه كان يقول وددت لو أنى تركت الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى لى كل يوم برغيفين فطال ذلك على حتى ضجرت ففكرت يوما فى أمرى فقيل لى انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت الله من ذلك ورجعت الى الله فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر و يدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك سببا وداخل فى غيره لمجرد الثروة والراحة فاتعب وقوبل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار * وفى كلام كتبناه فى غير هذا الكتاب طلبك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وطلبك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية فافهم رحمك الله ان من شأن هذا العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيتشوش قلبك ويتكدر وقتك وذلك انه يأتى للمتسببين

عنها لا ترحل من كون الى كون فتكون كالحمار فى الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى انما الانوار مطايا القلوب والاسرار والنور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا أراد الله ان ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار الاكوان ظاهرها غرة و باطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها متى أوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يفتح لك باب الانس به الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافات يتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلم منها فان أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء وعلم انه لو أخلاهم من ذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ان أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين أنوار أذن لها فى الدخول وأنوار أذن لها فى الوصول ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار تملؤه بالمعارف والاسرار المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون

لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا جعلك الله فى العالم الاوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة انطوت عليها اصداف مكوناته أنت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك

فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقه ودابا التجريد ولا طاقة له به وانما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك فى صورة ناصح اذلو أتاك فى غيرها لم تقبل منه كما أتى آدم وحواء عليهما السلام فى صورة ناصح وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين كما تقدم بيانه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتى للمتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى مافى أيدى الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنك الاسعاف ولا الايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فيصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه لان ذلك ماسلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد من الرضا عن الله فيما هم فيه وان يخرجهم عما اختاره الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق ان تدخل به لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب انما الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركنى السبب فلم أعد اليه * ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير أن أسأله صحبنى انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة وهو متصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الى فقال ياسيدى أخرج عما أنا فيه وأتفرغ بصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الى وقال هكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شئ حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تعالى من قلبى تلك الخواطر ووجدت الراحة بالتسليم الى الله ولكنهم كما قال رسول الله عليه السلام هم القوم لا يشقى بهم جليسهم *(وجه ثالث)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب من الله تعالى ويكون قصدك مناجاته لا عين ما طلبت وانما يكون الطلب توسلا لها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك ولتكن همتك مناجاة مولاك وقيل ان موسى عليه السلام كان يطوف فى بنى اسرائيل ويقول من يحملنى رسالة الى ربى وذلك لتطول مناجاته مع الله تعالى *(وجه رابع)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب وأنت تشهد انك مطلوب بما قسم لك وانك مقصود به وليس طلبك موصلا اليه فيكون طلبك وأنت غريق فى بحر العجز مغموس فى وجود الفاقة وقد يكون الاجمال فى الطلب أن لا تطلب بحظ البشرية ولكن لاظهار العبودية كما حكى ان سمنون المحب رحمه الله كان يقول

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

فابتلى بعلة الاسر وهو احتباس البول فصبر وتجلد فطاوله ذلك فصبر وتجلد الى أن جاءه بعض أصحابه فقال يا أستاذى سمعتك البارحة وأنت تطلب من الله الشفاء والعافية ولم يكن هو طلب ثم جاء ثان ثم جاء ثالث ثم

جاء

العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره فصد عن هذه الدار موليا وأعرض عنها مغضيا فلم يتخذها موطنا ولا جعلها سكنا بل نهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار اليه مستعينا به فى القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى ان أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والملاطفة وصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يستوطنون فان نزلوا الى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا فى ذلك كله بالله ولله ومن الله والى الله فاياك يا أخى ان تصغى الى الواقعين فى هذه الطائفة لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فان هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق واخلاص الوفاء ومراقبة الانفاس مع الله قد سلموا قيادهم اليه والقوا أنفسهم سلما بين يديه وتركوا الانتصار لانفسهم حياء من ربهم فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصا ولاسيما أهل العلم فقل ان تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين بل

يقول لك نعم ان الاولياء موجودون ولكن أين هم فلا يذكر له أحد الا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عاريا من التصديق فاحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الاسد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه ليس الفقيه من فقأ

جاء رابع فعلم ان مراد الحق منه اظهار الحاجة والعافية فسال من الله الشفاء ثم صار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب *(وجه خامس)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب من الله ما يكفيك ولا تطلب منه ما يطغيك غير متطلع الى ماسوى الكفاية بالشره ولا منبسطا اليه بالرغبة وقد علمنا ذلك رسول الله عليه السلام اذ قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا والطالب لما زاد على الكفاية ملوم وطالب الكفاية غير ملوم بذلك جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ولا تلام على كفاف ويكفيك فى ذلك ما قال رسول الله لثعلبة بن حاطب لما قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله عليه السلام يا ثعلبة بن حاطب قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فكرر عليه ثعلبة فاعاد عليه السلام ما قال أولا قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فما زال الى أن دعا له رسول الله عليه السلام بما اختار لنفسه فكان عاقبة اختياره لنفسه ومخالفته لمختار رسول الله عليه السلام أن كثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات أن يصليها خلف رسول الله عليه السلام ثم كثر ماله حتى تعطل عن الصلوات أن يصليها مع رسول الله عليه السلام الا صلاة الجمعة ثم كثرت أغنامه ومواشيه حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضا ثم جاءه مصدق رسول الله عليه السلام يأخذ منه الزكاة فقال ما أراها الا جزية أو أخت الجزية وامتنع من دفع الزكاة وقصته مشهورة فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون *(وجه سادس)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يطلب العبد حظوظ دنياه قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *(وجه سابع)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يكون طلبك غير شاك فى القسمة ولا تاركا حفظ الحرمة *(وجه ثامن)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب ولا تستعجل الاجابة وغير الاجمال أن تستعجلها وقد نهى النبى عليه السلام عن ذلك بقوله يستجاب لاحدكم مالم يعجل دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما حكاه الله تعالى عنهما بقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فقال سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما واهلاك فرعون أربعون عاما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله فى قوله سبحانه وتعالى فاستقيما أى على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قال هم المستعجلون الاجابة *(وجه تاسع)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى ان أعطى وشاهد حسن اختيار ربه اذا منع فرب طالب لا يشكر ان أعطى ولا يشهد حسن اختيار ربه فى المنع بل طالب من الله جازم ان المصلحة له أن يعطى ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله وأن يعلم ما فيه غيب الله وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه بل اذا سألته فسله مفوضا اليه غير مدبر معه ولا مختار عليه وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة هذا فيما أبهم أمره * والبيان فى ذلك ان المدعو به على ثلاثة أقسام ما هو خير قطعا فاطلبه من الله تعالى من غير استثناء كالايمان وجميع الطاعات وما هو شر قطعا فاطلب من الله السلامة منه من غير استثناء كالكفر والمعصية وما هو مبهم الامر كالغنى والعز والرفعة فاطلب ذلك من الله تعالى قائلا ان علمت ذلك خيرا لى كذلك سمعته من الشيخ رحمه الله *(وجه عاشر)* وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يكونوا فى الطلب على سابق قسمته معتمدين ولا يكونوا الى طلبهم مستندين وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يطلبوا وهم لعدم الاستحقاق شاهدون فاولئك حرى بهم ان يستوجبوا منة رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتى أمامى يريد رحمه الله حتى لا يطلب من الله بوصف

الحجاب عينى قلبه وانما الفقيه من فهم سر الايجاد وأنه ما أوجده الا لطاعته ولا خلقه الا لخدمته فاذا فهم هذا كان هذا الفقه منه سببا لزهده فى الدنيا واقباله على الآخرة واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا فى المعاد قائما بالاستعداد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير والمؤمن القوى هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين قال الله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم سبقوا الى الله فخلصت قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله الخلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم ان ترحل الى الله سبحانه وتعالى جذبها ذلك التعلق الذى به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته وافهم ههنا قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشئ غير الله تعالى وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يفهم منه انه لا يصلح مجيئك الى الله ولا الوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك الله الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله

يستحق العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله * فهذه عشرة أوجه في الاجمال في الطلب وليس القصد بها الحصر اذ الامر أوسع من ذلك ولكن بحسب ما ناول الغيب وأنعم به المولى سبحانه وتعالى وهو كلام صاحب الانوار المحيطة فانما يأخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا يأخذ من جواهر بحره الا على قدر قوة غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ومالم يأخذوه أكثر مما أخذوا واسمع قوله عليه السلام وأوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بانه أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه ﷺ لم يحيطوا بها علما ولم يقدر وها فهمها حتى قال بعضهم عملت بهذا الحديث سبعين عاما وما فرغت منه وهو قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضي الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم * (انعطاف) * انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا تراه يدل على الامر بالتوكل على الله تعالى لاعلى نفي الاسباب بل يدل على اثباتها لقوله عليه السلام تغدو خماصا وتروح بطانا فقد أثبت لها غدوها ورواحها وهو سببها ونفى عنها الادخار فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول لو توكلتم على الله حق توكله لما ادخرتم ولاغناكم التوكل على الله عن الادخار معه ورزقتم كما يرزق الطير تؤتى برزق يومها ولا تدخر لغدها ثقة منها بان الله تعالى لا يضيعها فانتم أيها المؤمنون أولى بذلك فافاد عليه السلام ان الادخار انما هو من ضعف اليقين * فان قلت أكل ادخار هذا حكمه أو هو مختلف الحال * فاعلم ان الادخار على ثلاثة أقسام ادخار الظالمين وادخار المقتصدين وادخار السابقين فاما القسم الاول فهم المدخرون بخلا واستكثارا الممسكون مباهاة وافتخارا فقد استحكمت الغفلة على قلوبهم واستولى الشره على نفوسهم فهم لا تفرغ من الدنيا نهمتهم ولا تتوجه الى غيرها همتهم الثابت فقرهم وان كانوا أغنياء الظاهر ذلهم وان كانوا أعزاء نهم من الدنيا لا يشبعون وعن طلبها لا يفترون تلاعبت بهم الاسباب وتفرقت بهم الارباب أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لم يبق في قلوبهم متسع لوعي الحكمة واستماع الموعظة فقل أن ترفع أعمالهم أو تزكى أحوالهم لان خوف الفقر قد سكن قلوبهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل فيجب على المؤمن المعافى مما هم فيه داخلون والسالم مما هم فيه منصرفون والمتطهر مما هم به متدنسون أن يحمد الله تعالى على ما خصه به من افضاله وأنعم به عليه من نواله وقل اذا رأيتهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا كما انك اذا رأيت مصابا في بدنه حمدت الله الذي عافاك وشهدت ما أنعم به عليك مولاك كذلك يجب عليك وأحرى أن تشكر الله اذ عافاك من أسباب الدنيا والخوض فيها وابتلى بذلك غيرك وأن لا تحقرهم بل اجعل عوض احتقارك بهم رحمتك بهم وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم واقتد بما فعل العارف بالله معروف رحمه الله فما فعله هو عين المعروف عبر هو وأصحابه على دجلة فرأى أصحابه سمارية فيها قوم أهل لهو وفسوق وطرب فقالوا يا أستاذ ادع الله عليهم فرفع يديه وقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقالوا يا أستاذ انما قلنا لك ادع عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ولا يضركم من ذلك شيء فالصقت السمارية في الوقت الى البر ونزل الرجال ناحية والنساء ناحية فتطهر هؤلاء وهؤلاء وخرجوا الى الله تائبين فكان منهم زهاد وعباد ببركة دعوة معروف فاذا نظرت أهل التخليط والاساءة فاعلم انه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وان لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطيعتهم * واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم * وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع

صلى الله عليه وسلم ان الله وتر يحب الوتر أي يحب القلب الذي لا يشفع بشنيات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله فهم أهل الحضرة المخاطبون بعين المنة فكيف (٤٨) يمكنهم ان يكونوا لسواه مستندين وهم لوجود الاحدية مشاهدون قال الشيخ أبو

الحسن الشاذلي رضي الله عنه قوي على الشهود فسألته ان يستر على ذلك فقيل لي لو سألته بما ساله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقواني فاهل الفهم أخذوا عن الله وتوكلوا عليه فكانوا بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علما منهم بانه لا يكلهم الى غيره ولا يمنعهم من فضله فدخلوا في الراحة ووقفوا في جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم واعلم رحمك الله تعالى ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان العلم تلازمه الخشية فالعلماء هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله تعالى الراسخون في العلم وقوله تعالى وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء انما المراد بالعلم

في هذه المواطن كلها العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام ويكفيك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا والعلم النافع هو الذي يستعان به على الطاعة ويلزم الخشية من الله تعالى

و يكفيك في تعظيم المؤمنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم ولم يجعل ظلمهم مخرجا لهم عن اصطفائيته ولا من وراثة كتابه واصطفاهم بالايمان وان كانوا ظالمين بوجود العصيان فسبحان الواسع الرحمة والعظيم المنة * واعلم انه لا بد في مملكته من عباده هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقوله عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي * وجاء رجل الى الشيخ أبي الحسن رحمه الله فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال يا هذا كأنك تريد أن لا يعصى الله في مملكته من أحب أن لا يعصى الله في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام انتهى كلام الشيخ وكم من مذنب كثرت اساءته وزلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربه فكن له راحما وبقدر ايمانه وان عصى عالما * (القسم الثاني) * من أقسام الادخار ادخار المقتصدين وهم الذين لم يدخروا استكثارا ولا مباهاة ولا افتخارا انما علموا من نفوسهم الاضطراب عند الفقر فعلموا انهم ان لم يدخروا اتشوش عليهم ايمانهم وتزلزل ايقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلما منهم بعجزهم عن مقام اليقين وقد قال رسول الله عليه السلام المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير * فالمؤمن القوي هو الذي أشرق في قلبه نور اليقين فعلم ان الله تعالى سائق اليه رزقه ادخر أو لم يدخر وانه ان لم يدخر ادخر له الحق تعالى وان المدخرين محالون على مدخراتهم وأهل التوكل محالون على الله لا على شيء دونه فالمؤمن القوي من لم يستند الى الاسباب سواء كان فيها أو لم يكن والمؤمن الضعيف الداخل في الاسباب مع المراكنة والخارج عنها مع التطلع اليها * (القسم الثالث) * بالنسبة الى الادخار وعدمه السابقون وهم الذين سبقوا الى انه لخلاص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله العلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق الى الله تعالى جواذب التعلق بغير الله فكلما ادمت قلوبهم أن ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى ما به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة ممن هذا نعته * قال بعض العارفين أتظن أن تدخل الى الحضرة الالاهية وشيء من ورائك يجذبك وافهم ههنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وان القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضا أنه لا يصح مجيئك الى الله تعالى بالوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك اليه الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر أي يحب القلب الذي لا يشفع بشنويات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله تركوا الله يتصرف لهم فلم يكلهم الى أنفسهم ولم يدعهم لتدبيرهم فهم أهل الحضرة المفاتحون بعين المنة لا تقطعهم عن الله محاسن الآثار ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار ولنا في هذا المعنى

يا بهجة الحسن التي ما مثلها * من بهجة طرحت على الاكوان
لي فيك معنى ما تبدى سره * الا ثنى طرفي ومد عناني

وقال بعضهم لو كلفت ان أرى غيره لم أستطع لانه لا غير معه حتى أشهده معه وهذا حال أقوام تولتهم الرعاية واكتنفتهم العناية فاي تدبير لهؤلاء أم كيف يمكن هؤلاء ان يكونوا من المدخرين وهم في حضرة رب العالمين وان ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين أم كيف يمكنهم أن يكونوا الى سواه مستندين وهم لوجود الاحدية مشاهدون * قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله قوي على الشهود مرة فسألت

والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله تعالى ولكن من استرسل باطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا (٤٩) يكون منطلقا مع الحقيقة ولا

واقفا مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظاهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل ومقام الهداية فيما بين ذلك وكل علم تسبق اليك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتد به وبالخلفاء من بعده وبالصحابة والتابعين من بعدهم وبالهداة الى الله تعالى الائمة المبرئين من الهوى ومتابعيهم تسلم من الشكوك والظنون والاوهام ولوساوس والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وحسبك من العلم النافع العلم بالوحدانية ومن العلم محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة واذا أردت أن يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى اما باشارة صادقة أو باعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة فارفع همتك الى مولاك واشتغل به دون غيره سمعت الشيخ أبا العباس المرسي

يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق واذكر رحمك الله ههنا قوله
سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العز الذي أعز الله به المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ما سواه واستغن من الله بعد

أن يكون كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولى عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجود الاحسان وقبيح بالمؤمن ان ينزل حاجته بغير مولاه مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهو يسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وليذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التى عاقدته عليها ان لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بكذبه وقد ابتلى الله تعالى بحكمته وجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كتموه من الرغبة وأسروه من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم موافقين لهم على ما تريهم مدفوعين عن أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق وسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعد ان كانت نسبتهم مع الله ان لو صدق مع الله أن يقال له عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة فصار يقال له شيخ الامير أولئك الكاذبون على الله تعالى الصادون العباد عن صحبة أولياء الله لان ما يشهده العوام منهم يحملونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شمس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم وليسوا دروعهم فاذا وقعت الجلة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا

أن يستر ذلك عنى فقيل لو سألته بما ساله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى فمن كان هذا حاله فكيف يحتاج الى الادخار أم كيف يمكنه أن يستند الى الاغيار وكفى بالمؤمن أن يدخر ايمانا بالله وثقة به وتوكلا عليه وأهل الفهم عن الله توكلوا على الله فكان هو المدخر لهم واستحفظوه فكان هو الحافظ لهم وكانوا له وبه فكان بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم اشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علما منهم بانه لا يكلهم اليهم ومن فضله لا يمنعهم فدخلوا فى الراحة ووقعوا فى جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم وحق أن يرفع المحاسبة عنهم بفضله كما قال رسول الله عليه السلام سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكيف يحاسب من لا شئ له أم كيف يسأل عن فعله من شهد انه لا فعل له وانما يحاسب المدعون ويناقش الغافلون الذين يشهدون أنهم مالكون أو مع الله فاعلون ومن لم يدخر ثقة بالله وتوكلا عليه ساق الله له رزقه بوجود الهنا أو جد فى قلبه وجود الغنا * أفلس بعض العارفين فقال لزوجته أخرجى كل ما فى البيت فتصدقى به ففعلت الا الرحا فانها قالت لعلنا نحتاج اليها ولا نجد مثلها فهى قد فعلت واذا بالباب قد دق فقيل هذا قمح أرسل الى الشيخ فلأت الدار قمحا فلما رجع العارف ونظر قال أخرجت كل ما فى البيت قالت نعم قال وليس الامر كذلك فقالت ما تركت الا الرحا خيفة أن نحتاج اليها فقال لو أخرجت الرحا لجاءك دقيق ولكن أبقيتها فجاءك ما به تتعبين فان ادخر السابقون فلا لانفسهم ولكن ادخار أمانة لانهم خزان أمناء وعبيد كبراء ان أمسكوا الدنيا أمسكوها بحق وان بذلوها بذلوها بحق وليس الممسك لها بحق بدون الباذل لها بحق ولا يشهدون انهم مع الله مالكون بل ما فى أيديهم يشهدونه من ودائع الله ويتصرفون فيها بالنيابة عن الله سمعوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فعلموا انه لا ملك لهم مع الله وانما هى نسبة أضيفت اليك واضافة منة من بها عليك ليرى كيف تعمل وهو العليم الخبير أتقف مع ظاهرها أم تنفذ الى أسرارها ولذلك كان الانبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك انما يشهدون ما فى أيديهم من ودائع الله تعالى لهم يبذلونه فى أوان بذله ويمنعونه من غير محله ولان الزكاة انما هى طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة يتبين لك ما ذكرناه ويتضح ما قررناه واذا كان أهل المعرفة بالله تعالى المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا فما ظنك بالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأهل التوحيد والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى ان الشافعى وأحمد رحمهما الله كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعى رحمه الله فقال أحمد للشافعى أريد أن أسأل هذا المشار اليه فى هذا الزمن فقال الشافعى لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسى أربع سجدات من أربع ركعات فقال يا أحمد هذا قلب غافل عن الله عز وجل يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق ثم سأله فقال ما تقول فيمن له أربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا أو مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففى الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ وقد جاء فى الحديث ان النبى عليه السلام ادخر قوت سنة فاما أن يكون ذلك لما قلناه أولا من أن ادخار الانبياء عليهم السلام انما هو امساك بالامانة مختارين له وقتا يصلح انفاقه وانما ادخر رسول الله عليه السلام لاجل عائلته أو ليبين

جواز

قوله سبحانه وتعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فاعلم ان باب الرزق طاعة الرازق فكيف يطلب منه بمعصيته أم كيف يستمطر فضله بمخالفته وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا ينال ما عند الله بسخطه أى لا يطلب رزقه الا برضاه وقد قال تعالى مبينا لذلك بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه فى حزبه لما قال واعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع واحذر من التدبير مع الله فمثال المدبر مع الله كعبد أرسله السيد الى بلد ليصنع له ثيابا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره السيد به حتى دعاه اليه فجزاؤه من السيد ان جزاه القطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بامر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير منة منه لك فان اشتغلت فيها بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الردى ومثال المدبر مع الله والذى لا يدبر مع الله كعبدين للملك اما أحدهما فيشتغل باوامر سيده

جواز الادخار لامته فانه اذا لم تقع الحوالة عليه لنافى التوكل ومما يدلك على ان المراد انما كان ليبين جوازه انه كان عليه السلام أغلب أحواله عدم الادخار وانما ادخر توسعة على أمته ورحمة بهم واشفاقا على الضعفاء منهم اذ لو لم يدخر لم يكن لمؤمن أن يدخر بعده ففعل ذلك ليبين حكمه وقد قال عليه السلام انى لا أنسى أو أنسى لاسن فبين لك صلى الله عليه وسلم ان النسيان ليس من شأنه ولا من وصفه وانما يدخل فيه ليبين حكمه وما يتعلق به لامته فافهم الحديث *(فائدة)* قوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى قال الذين أوتوا العلم والراسخون فى العلم وقل رب زدنى علما وقوله عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقوله ههنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم فى هذا الموطن العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسول الله عليه السلام أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك فى غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله اذا كان تعلمه لله فقوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه أى تكفل له ان يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة وانما أولنا هذا التأويل وان معنى التكفل تكفل خاص وذلك لان الحق سبحانه وتعالى متكفل برزق العباد أجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه فدل على ان هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرنا لانه أفردها بالذكر * ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس فى حزبه لما قال وأعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع *فسأل من الله الرزق الهنى وهو الرزق المتكفل به لطالب العلم ثم فسر الرزق الهنى بانه الذى لا حجاب معه فى الدنيا ولا حساب له فى الآخرة لان ما وقعت فيه الحجبة فلا هناء فيه اذ الحجبة توجب تكسر السر بالمنع عن المحاضرة والصد عن المفاتحة لا على ما يفهمه العموم من ان الرزق الهنى الذى حصل من غير وجود تعب ولا نصب فالهناء عند أهل الغفلة فيما يرجع الى الابدان وعند أهل الفهم فيما يرجع الى القلوب ووقوع الحجبة فى الرزق اما بشهود الغفلة والاسباب عن الله تعالى واما بان تتناوله ليس قصدك التقوى على طاعة الله تعالى فالاول حجبة فى الحصول والثانى حجبة فى التناول وقول الشيخ ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخرة فالسؤال يكون عن حقوق النعم لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وأكل النبى عليه السلام وبعض أصحابه طعاما ثم قال والله لتسألن عن نعيم هذا اليوم وكان الشيخ رحمه الله يقول السؤال على قسمين سؤال تشريف وسؤال تعنيف فسؤال أهل الموافقة والعناية سؤال التشريف وسؤال أهل الغفلة عن الله والاعراض عنه سؤال التعنيف وافهم رحمك الله ان الحق سبحانه وتعالى انما يسأل أهل الصدق وان كان هو العالم باخبارهم وبخفى أسرارهم ليظهر مرتبة صدقهم للعباد وينشر محاسنهم فى المعاد كما يقول السيد لعبده ماذا صنعت فى أمر كذا وكذا وهو يعلم أنه أحكمه وأتقنه ولكن أراد أن يعلم الحاضرون اعتناءه بامره وقيامه وعنايته بشأنه فافهم (وقول الشيخ رحمه الله) ولا حساب فالحساب هو نتيجة السؤال واذا سلموا من السؤال سلموا من الحساب واذا سلموا من السؤال والحساب سلموا من المعاقبة فذكرها الشيخ رحمه الله وان كانت ملازمة ليتبين ما يستلزم هذا الرزق من المنن التى لو انفردت واحدة منها لكان حريا أن تطلب وقول الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد أى على ان أشهدك فيما رزقتنى وأراك فيما أطعمتنى فلا أشهد ذلك من

غيرك ولا أضيفه لاحد من خلقك وكذلك أهل الله لايا كلون الا على مائدة الله أطعمهم من أطعمهم لعلمهم ان غير الله تعالى لايملك معه شيأ فيسقط بذلك شهود الخلق عن قلوبهم فلم يصرفوا الغير الله حبهم ولا وجهوا لمن سواه ودهم اذ رأوا أنه هو الذى أطعمهم ومنحهم من فضله وأكرمهم قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله يوما انا نحن لانحب الا الله تعالى أى لايتوجه الحب منا الى الخلق فقال له رجل قد أبى ذلك جدك ياسيدى بقوله عليه السلام جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال نعم نحن قوم لانرى المحسن الا الله تعالى فلذلك جبلت قلوبنا على محبته ومن رأى ان المطعم هو الله سبحانه وتعالى تجدد عنده مزيد الحب على حسب ما يتجدد من تناول النعم لقوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وقد سبق بيانه ومن رأى ان الله هو المطعم له صانته هذه المطالعة عن الذل للخلق أو أنه يميل قلبه بالحب لغير الملك الحق ألم تسمع قول ابراهيم الخليل عليه السلام والذى هو يطعمنى ويسقين فشهد لله تعالى بانفراده بذلك واعترف له تعالى بوحدانيته فيه (وقوله) الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد والشرع لان من استرسل من اطلاق التوحيد ورأى ان الملك لله وان لاملك لغيره معه ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة وعاد حاله بالوبال عليه ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا منطلقا مع الحقيقة ولا واقفا مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظواهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

(فصل) واعلم أنه يرد فى شأن الرزق أمور ويعرض فيه عوارض وقد ذكر الشيخ رحمه الله كثيرا منها بقوله وسخر لى أمر هذا الرزق واعصمنى من الحرص والتعب فى طلبه ومن شغل القلب وتعلق الهم به ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير فى تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله وليس العوارض الواردة فى شأن الرزق بمحصرة حتى تستوفى فلنتكلم على ما قاله الشيخ رحمه الله * فاعلم ان للعبد بالنسبة الى الرزق ثلاثة أحوال حال قبل أن يرزقه وهى حالة السعى وحال بعد ذلك وهى حالة الحصول وحال بعد انقضائه وهى الحالة الثالثة فاما مايعرض قبل حصوله فالحرص والتعب فى طلبه وشغل القلب وتعلق الهم به والذل للخلق بسببه والتفكر والتدبير فى تحصيله فاما الحرص فهو الرغبة القائمة بالنفس فى التحصيل له والانكباب على ذلك وهو ينشأ عن فقدان الثقة وضعف اليقين وهما ناشئان عن فقدان النور وفقدان النور ناشئ عن وجود الحجبة اذ لو كان القلب بانوار المشاهدة معمورا وبمنن الله مغمورا لم تطرقه طوارق الحرص ولو انبسط نور اليقين على القلب لكشف له عن سابق القسمة فلم يمكنه الحرص وعلم العبد أن له عند الله قسمة لابد أن يوصلها اليه وأما التعب فى طلبه فاما أن يكون تعب الظواهر ويكون الاستعاذة منه الى الله تعالى لانه اذا استولى على الطالب للرزق التعب فى الظاهر شغله ذلك عن القيام بالاوامر والرزق مع الراحة فيه اعانة على التفرغ الى طاعة الله تعالى والقيام بخدمته وان كان التعب هو تعب القلوب لاتعب الظواهر فهو أولى بان يستعاذ منه وذلك لان القلوب يتعبها تكلفها فى طلب الرزق والفكرة فيه ويثقلها ماجاءت من ذلك ولا راحة لها الا بالتوكل على الله لان المتوكل على الله وضع أثقاله والله تعالى يحملها عنه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ثم قال الشيخ رضى الله عنه ومن شغل القلب وتعلق الهم به فشغل القلب بامر الرزق قاطع عظيم حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أكثر ماحجب الخلق عن الله تعالى شيآن هم الرزق وخوف الخلق وهم الرزق أشد الحجابين وذلك ان أكثر الناس قد يخلو من هم خوف الخلق ولا يخلو من هم الرزق الا القليل لاسيما وشاهد الفاقة قائم بوجودك وأنت مفتقر الى مايقيم بنيتك ويشد قوتك (وقوله) وتعلق الهم به أى تعلق الهمة بامر الرزق توجها واستغراقا حتى

لا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همته خدمة السيد فاشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه وأما العبد الآخر فكيف ماطلبه سيده وجده يغسل ثيابه وفى سياسة مركوبه وتحسين زيه فالعبد الاول أولى باقبال سيده من العبد الثانى والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير الموفق لاتراه الا مشغولا بحقوق الله وامتثال أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه وتعالى بكل أوامره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه فى توكله لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه والغافل ليس كذلك لاتجده الا فى تحصيل دنياه وفى الاشياء التى توصله الى هواه ومثال العبد مع الله فى هذه الدار كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع تدبير ولدها فى كفالتها ولا ان تخرجه من رعايتها كذلك المؤمن مع الله قائم له بحسن الكفالة فهو سائق اليه المنن ودافع عنه المحن ومثال العبد فى الدنيا كمثل عبد قال له السيد اذهب الى أرض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر منها فى برية كذا وكذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد فى ذلك فمعلوم انه قد أباح له أن يأكل مايستعين به على اقامة بنيته ليسعى فى طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد مع الله أوجده فى هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فمعلوم انه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن ياخذ من الدنيا مايستعين به على تزوده الى الآخرة لا واستعداده وتاهبه لمعاده ومثال العبد مع الله كمثل أجير أتى به ملك الى داره وأمره أن يعمل عملا فما كان الملك ليأتى بالاجير ويستخدمه

لايبقى فيه متسع لغيره وهذه حالة توجب القطيعة وتكسف أنوار الوصلة وتنادى على صاحبها بخراب قلبه من نور اليقين وفلسه من القوة والتمكين (وقوله) ومن الذل للخلق بسببه فاعلم ان من ضعف يقينه وقل من قسمة العقل نصيبه فالذلة لازمة له لطمعه فى الخلق ولعدم ثقته بالملك الحق وذلك لانه لم يشهد سابق قسمة الله تعالى ولم يظفر بصدق وعده فذل للخلق متملقا ولح اليهم متعلقا وذلك عقوبة الغفلة عن الله تعالى ولعذاب الآخرة أشد ولو صح ايمانه وثقته بالله لكان بذلك عزيزا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة المؤمن بربه لايعتز بغيره لعلمه ان العزة لله جميعا وانه العزيز فلا عزيز معه والمعز فلا معز معه فاعزته الثقة ونصره التوكل فلم يبن لصدق ثقته بربه فى قسمته ولم يحزن لاعتماده عليه فى وجود منته سامعا قوله تعالى ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فعزة المؤمن بترك الطمع فى الخلق ووجود الثقة بالملك الحق أبى له ايمانه أن يرفع حاجته لغير ربه أو أن يصرف لما سواه قلبه ولذلك قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا
وياصاحبى قف لى مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لايباع ولا يهدى

ومن حرره الله من رق الطمع وأعزه بوجود الورع فقد أجزل عليه منته وكمل عليه همته واعلم ان الله قد كسالك أيها المؤمن خلعا عديدة منها خلعة الايمان والمعرفة والطاعة والسنة فلا تدنسها بالطمع فى المخلوقين وبالاستناد الى غير رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله رأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لى ياعلى طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس فقلت يارسول الله وما ثيابى فقال اعلم ان الله تعالى كساك حلة الايمان وحلة المعرفة وحلة التوحيد وحلة المحبة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر فمن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن أحب الله هان عليه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شئ ومن أسلم لله قل مايعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكى طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلى للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحرى أن تدام له وأن لاتسلب عنه والمدنس لخلع المواهب فحرى أن لاتترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك فى المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين فان اعتززت بالله دام عزك بدوام من اعتززت به وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لابقاء لمن أنت به معتز انشد لى بعض الفضلاء لنفسه

ليكن بربك كل عز * لك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت * فان عزك ميت

ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكى فقال ماشأنك قال مات أستاذى فقال له ذلك العارف ولم جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره عدمته وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما وكن أيها العبد ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لاأحب الآفلين وماسوى الله تعالى آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملة ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبرائيل عليه السلام فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبرائيل ولا احتال على السؤال من الله تعالى بل رأى الحق أقرب اليه من جبرائيل ومن سؤاله فلذلك سلمه من النمرود ونكاله وأنعم

فى داره ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك فكذلك العبد مع الله فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هى الجنة ولم يكن الله ليامرك بالعمل ولا يسوق لك مابه تستعين عليه الا لخيرك ومثال العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك ان يقيم فى أرض كذا ويحارب فيها العدو ويجاهده فيها فمعلوم انه اذا أمره بذلك أباح له ان يأكل من مخازن تلك الارض بالامانة ليستعين به على محاربة العدو وكذلك العباد أمرهم الحق سبحانه وتعالى بمحاربة النفس والشيطان ومجاهدتهما لقوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمر العبد بمحاربته أذن له ان يتناول من منابت أرضه مايستعين به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك ان تقوم بطاعته ولا ان تنهض لخدمته ومثال العبد مع الله كمثل ملك له عبد فبنى دارا وبهجها وحسنها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها فى غير الموطن الذى فيه العبيد وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كانت هذه عنايته بهم فيما ادخر لهم عنده وهيأه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منه وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم فى الدنيا وهيأ لهم الجنة فلا يريد أن يمنعهم من الدنيا ولكن مايقيم به وجودهم فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى ياأيها الناس كلوا من طيبات مارزقناكم واذا ادخر لك الباقى ومن عليك به لايمنعك الفانى فانما يمنعك مالم يقسمه لك ومالم يقسمه لك فليس لك ومثال المهموم بامر

عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله تعالى لقوله فانهم عدو لى الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو فى اليأس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسى و رجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والاكسير الذى من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته فانبسط فقلت له يا ولدى ما حاجتك ولم صحبتنى قال يا سيدى قيل لى انك تعلم الكيمياء فصحبتك لاتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك أن لا تقبل فقال بلى أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم ثم تعلقت بالاحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعونى بشئ لم يردنى الله به فقطعت اياسى منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى انك لن تصل الى حقيقة هذا الامر حتى لا تشك فينا وتيأس من غيرنا أن يعطيك غير ما قسمناه لك * وقال مرة أخرى رحمه الله لما سئل عن الكيمياء فقال أخرج الطمع من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فقال يا فتى انى سائلك عن شئ فان أجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال له على رضى الله تعالى عنه ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول كنت فى ابتداء أمرى بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لا يأخذه منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فى شان الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل * اعلم ان من عرف الله وثق بضمانه وكفالته وانه لا يكمل فهم العبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه وبضمان الحق أوثق منه بضمان الخلق ويكفيك جهلا أن لا تكون كذلك ورأى بعضهم رجلا يلازم الجامع ولا يخرج عنه فتعجب من ملازمته وفكر فى نفسه من أين يأكل فقال له يا هذا من أين تأكل فقال له ذلك الرجل ان لى صاحبا يهوديا وعدنى كل يوم برغيفين فهو يأتينى بهما فقال له ذلك العارف يا مسكين وثقت لى بوعد يهودى وما وثقت لى بوعد الله سبحانه وتعالى وهو الصادق الوعد الذى لا يخلف الميعاد وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فاستحيا منه ذلك الرجل وذهب * وعن آخر انه صلى خلف امام أياما فقال له الامام يوما وقد تعجب من ملازمته المسجد وتركه الاسباب من أين تأكل فقال قف حتى أعيد صلاتى فانى لا أصلى خلف من شك فى الله والحكايات فى هذا كثيرة * قيل لعلى بن أبى طالب رضى

دنياه الغافل عن التزود لاخراه كمثل انسان جاءه سبع وهو يريد أن يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز من السبع والحق ان هذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان متصفا بالعقل لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة فى الذباب كذلك المهتم بامر دنياه عن التزود للآخرة دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التى هو مسؤل عنها وموقوف عليها فلا يشتغل بامر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة للآخرة نسبة الذباب الى مفاجاة الاسد وهجومه ومثال المدخر للامانة كعبد الملك لا يرى ان له مع سيده شيأ ولا يعتمد على ادخار ما فى يده ولا بد له منه بل على ما يختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد ان الامساك مراد السيد أمسك لسيده لا لنفسه حتى يتخير موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم من سيده ارادة صرفه فهذا بامساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله ان بذلوا ففيه وان أمسكوا فله يبتغون ما فيه رضاه لا يريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان امناء وعبيد كبراء وابرار كرماء قد حررهم الحق من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولم يقبلوا عليها بود منعهم من ذلك ما أسكنه فى قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده فصارت الاشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم بان الله تعالى مالكهم ومالك ما ملكهم * بيان للمعتبرين وهداية الله للمستبصرين وهو أن من خرج من تدبيره لنفسه كان الله هو المتولى بحسن التدبير له والتدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير

الله عنه لو ان انسانا أدخل بيتا وطين ذلك البيت عليه من أين يأتيه رزقه فقال يأتيه رزقه من حيث يأتيه أجله فانظر هذه الحجة ما أبهرها وهذه البينة ما أظهرها (وقول) الشيخ رحمه الله ومن التفكر والتدبير فى تحصيله فالتفكر ان تستحضر فى نفسك انه لا بد لك من غذاء يقيم بنيتك والتدبير أن تقول هو من وجه كذا وكذا الاول لكن هو من وجه كذا وكذا ويكثر ذلك ويتردد على القلب حتى لا تدرى ان كنت مصليا ماذا صليت أو تاليا ماذا تلوت فتتكدر عليك تلك الطاعة التى أنت فيها وتحرم أنوارها وتمنع أسرارها فاذا ورد عليك ذلك فاهدم بناءه بفاس الثقة ودكه بوجود اليقين واعلم رحمك الله ان الله تعالى قد تولى تدبيرك من قبل ان تكون وانك ان أردت نصح نفسك فلا تدبر لها فان التدبير منك لها اضرار بها اذ ذلك مما يوجب احالتك عليك ويمنع امداد اللطف أن يصل اليك والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لوجود التدبير ولا للمنازعة المقادير فان عرض ذلك عليك أو خطر فلا تثبت له فان نور الايمان لا يدعه لذلك وكان حقا علينا نصر المؤمنين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (وقول) الشيخ رحمه الله ومن الشح والبخل بعد حصوله فهذان من العوارض بعد الحصول وهما ينشئان عن ضعف اليقين وعدم الثقة فحينئذ يكون الشح ويقع البخل وقد ذم الله تعالى الشح والبخل كليهما فى كتابه العزيز فقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فمفهومه ان صاحب الشح لا فلاح له أى لا نور له والفلاح هو النور وقال تعالى فى وصف المنافقين أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وقال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والبخل والشح يطلق على أقسام ثلاثة *(الاول)* أن تبخل بما فى يدك أن تبذله فى واجبات الله تعالى *(الثانى)* أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب على عباد الله *(الثالث)* أن تبخل بنفسك أن تبذلها لله تعالى * والبخل الاول هو أن تبخل فلا تؤتى الزكاة وقد خوطبت بها أو لا تقوم بحق وقد تعين عليك من نفقات الابوين فى فقرهما والاولاد فى فقرهم وصغرهم وكنفقات الزوجات وبالجملة فكل حق أوجب الله عليك القيام به فتخلفك عنه مما يطلق عليك لسان الذم وتستحق به العقوبة وفى ذلك جاء قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال أهل العلم الكنز هو المال الذى لا تؤدى زكاته فاذا أديت زكاته لا يكون كنزا معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم * القسم الثانى البخل بالبذل فيما لم يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيأ بعد ذلك وهذا وان كان قد فعل ما أمره الله تعالى به من اخراج ما وجب عليه فينبغى أن لا يقتصر عليه فان الاقتصار على الواجبات وترك نوافل الخيرات انما هو حال الضعفاء فلا ينبغى للمؤمن المعتنى باصلاح شانه مع الله تعالى ان يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه فانه ان كان كذلك كان حاله كمن يصلى الفرائض ولا يقوم برواتبها ويكفيك أيها العبد قوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله عليه السلام ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فقد بين سبحانه وتعالى أن تكرار النوافل والقيام بها يوجب للعبد وجود الحب من الله تعالى والنوافل كل ما لم يطالبك به لسان ايجاب من صلاة أو صدقة أو حج أو غير ذلك ومثل القائم بالفرائض من الصلوات المقتصر عليها والقائم بها وبالنوافل أو المخرج للزكاة المقتصر عليها والمخرج لها والمؤثر معها كعبدين لسيد جعل عليهما كل يوم خراجا على كل عبد درهمين فاما العبد الواحد فانه يؤتى للسيد بذلك ولا يزيد عليه شيأ ولا يهاديه ولا يوادده وأما العبد الآخر فانه يقوم للسيد كل يوم بما قام به صاحبه لكن يشترى من الطرف والفواكه ما يهدى الى سيده زائدا عن خراجه فهذا العبد لا محالة أحظى عند السيد وأوفر نصيبا من الحب وأقرب الى

المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شئ كالتدبير فى تحصيل معصية أو فى حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو هذا فهذا كله مذموم لانه اما موجب عقابا واما موجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحيا من الله سبحانه أن يصرف عقله الى تدبير ما لا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل أفضل ما من الله به على عباده لانه سبحانه خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد ودوام الامداد فاشتركت الموجودات فى ايجاده وامداده فلما اشتركت أراد الحق سبحانه ان يميز الآدمى عنهم فاعطاه العقل وأيده به وفضله بذلك على الحيوان وأكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التى لا قدر لها عند الله تعالى كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه فى معاده قياما بشكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذى من الله به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال للضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم يعودان الى ماذا قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا والتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا لما يقربك الى الله سبحانه وتعالى كالتدبير فى براءة الذمة من حقوق المخلوقين اما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدى الى قمع الهوى المردى والشيطان المغوى فهذا كله محمود ولا شك فيه ولذلك قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو ان يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا لها وكلما زيد فيها شيء ازداد غفلة واغترارا فامارة ذلك ان تشغله عن الموافقة وتؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالا أولينعم بها على ذي الفاقة افضالا وليصون بها نفسه عن الناس اجمالا فامارة ذلك عدم الاستكثار والادخار والاسعاف والايثار فقد تبين من هذا انه ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول العارف لادنيا له ولا آخرة لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة والسلف رضي الله عنهم أجمعين فكلما دخلوا فيه من الاسباب فهم بذلك الى الله متقربون ولرضاه منتسبون لا يقصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاتها ولهذا وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الآية وما ظنك بقوم يحبهم الله واختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى وأيادي بما لا تنسى لانهم هم الذين حملوا الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الحكم والاحكام وبينوا الحلال من الحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا

اقبال السيد لان العبد القائم بما خورج عليه غير متودد للسيد وانما أعطاه اشفاقا من عقوبته والعبد الذي أعطى لسيده ما خارجه عليه وهادا بعد ذلك فهو قد سلك مسلك التودد للسيد والتعرض لحبه فهو حري أن يظفر بقربه وحبه وانما جعل الحق تعالى الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجب لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليلا وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل (تنبيه واعلام) اعلم رحمك الله انا تلمحنا الواجبات فرأينا الحق تعالى جعل في كل ما أوجبه تطوعا من جنسه في أي الانواع كان ليكون ذلك التطوع في ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث انه ينظر في مفروض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل له من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل ليكن فيك ناهضة تحب تواكبا بك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لم يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمبين لهم أسباب المواصلة واعلم أن الحق تعالى علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على الواجبات والترك للمحرمات وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد الذي يعلم السيد منه انه ان لم يخارجه لم يهد اليه شيئا فلذلك وقت سبحانه وتعالى الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة كل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية في العين والحرث والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع وآت واحقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيما سواها فسحة للحظوظ والسعي في الاسباب وأهل الله تعالى وأهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته عليك غير موقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغي أن تكون أيضا كذلك يقول الشيخ أبو الحسن رحمه الله فان لكل وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ولنحبس عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب (القسم الثالث) من أقسام الايثار وهو الايثار بالنفس فهذا هو أفضل الوجوه الثلاثة وانما أوثر بغيره لاجله فمن آثر الله تعالى بما أوجبه عليه فقد لا يؤثره بما في يديه مما لم يوجبه عليه ومن آثر الله تعالى بما في يديه مما لم يوجبه عليه فقد لا يؤثره بنفسه ولا يسخو ببذلها فان السخاء بالنفس والبذل لها من أخلاق الصديقين وشأن أهل اليقين الذين عرفوا الله فبذلوا له نفوسهم علما منهم أن العبد لا يملك مع السيد شيئا واذا كان الايثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها أقبح الوجوه فقد تبين من هذا قول الشيخ ومن الشح والبخل بعد حصوله على طريق الالماح لا الاستقصاء فان الكتاب غير موضوع لهذا المعنى (القسم الثالث) من أقسام العوارض في شأن الرزق فانا ذكرنا ان العوارض التي تعرض في شأن الرزق على ثلاثة أقسام عوارض قبل الحصول وعوارض في حين الحصول وقد تقدم ذكرهما في كلام الشيخ فيما وبينا نحن ذلك وعوارض بعد حصوله ونفاده من الاسف والندم عليه ودوام التطلع اليه فينبغي أن تطهر منها أيضا واسمع قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا

الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد ويحق قوله صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائما أبدا أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم الله في الآية الكريمة بأوصاف الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله دل ذلك من قوله سبحانه وتعالى انهم ما ابتغوا بما حاولوه من الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجهه الكريم وفضله العظيم وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية ولم ينف عنهم الاسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه عند خازنه يوم قتل زنة مائة ألف وخمسمائة دينار وألف ألف درهم وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف ضباعة بئر أريس وخيبر ووادي القرى ماقيمته مائتا ألف دينار وخلف عمرو بن العاص ثلثمائة ألف دينار وبلغ من مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الله بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم حينئذ لانهم لو أعطوا منها قبل ذلك لعلها كانت تأخذ منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا فيها قول رب العالمين وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا في أيدي الصحابة

بما آتاكم وقول النبي عليه السلام لما توفي ولد لاحدى بناته قال عليه السلام اعلمها أن لله ما أخذ وله ما أعطى ومن أسف على فقد شيء دون الله تعالى فقد نادى على نفسه بوجود الجهل وثبات القطيعة اذ لو وجد الله لم يفقد شيئا دونه فمن وجد الله فلا يجد شيئا دونه حتى يكون له فاقدا وليعلم العبد ان ما فاته ليس له برزق وما كان عنده ففقده فليس له لانه لو كان رزقه ما ذهب عنه الى غيره بل كان عارية عنده أخذ العارية من أعارها واسترجع الشيء من أوجده وكان لبعضهم ابنة عم مسماة عليه من الصغر فلما كبر جرى ما منع زواجه اياها ثم تزوجت بزوج غيره فجاء اليه بعض أهل الفهم وقال له يصلح لك ان تعتذر الى هذا الزوج الذي تزوج ابنة عمك اذ كنت أنت المتطلع لزوجته اذ هي زوجته في الازل وكفى بالمؤمن تحذيرا من الندم على ما فات قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فقد ذم الحق تعالى من يسكن للاشياء في حين وجدها ألا تراه كيف قال فان أصابه خير اطمأن به أي اطمأن بذلك الخير ولو فهم لما اطمأن بشيء دون الله تعالى ولكانت طمأنينته بالله وحده وكذلك من يحزن عليها عند فقدها لقوله تعالى وان أصابته فتنة والفتنة فقد ذلك المشتهى الذي كان اليه ساكنا انقلب على وجهه أي دهش عقله وذهلت نفسه وغفل قلبه وما ذلك الا لعدم معرفته بانه تعالى ولو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود واستغنى به عن كل مفقود ومن فقد الله لم يجد شيئا ومن وجده لم يفقد شيئا وكيف يفقد شيئا من يجد من بيده ملكوت كل شيء وكيف يفقد شيئا من وجد الموجد لكل شيء وكيف يفقد شيئا من وجد الظاهر في كل شيء فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجد ولا بفقد اذ لا يوجد غيره معه لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان * واذ قد فهمت هذا فينبغي لك أيها العبد أن لا تأس على فقد شيء وان لا تركن بوجود شيء فان من وجد شيئا فركن اليه أو فقد شيئا فحزن عليه فقد أثبت عبوديته لذلك الشيء الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده * وافهم ههنا قوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فلا تحكم في قلبك أيها المؤمن شيئا الا حب الله ووده فانك أشرف من أن تكون عبدا لغيره فقد جعلك عبدا كريما فلا تكن عبدا لئيما وقد أبى لاهل الفهم عن الله تعالى فهمهم أن يركنوا الوجد أو يتطلعوا الفقد حفظا لعبوديتهم وتصحيحا لحريتهم عما سواه * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الكائن في الحال على قسمين عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال الذي يفرح بها اذا وجدها ويحزن عليها اذا فقدها وعبد هو في الحال بالمحول فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى عليها اذا فقدها ولا يفرح اذا وجدها فقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على وجهة واحدة فان زالت طاعته وانفصلت موافقته ولو فهم عنا العبد لكان على كل حالة وفي كل وجهة كما انه ربك تعالى في كل حال كذلك فكن له عبدا في جميع الاحوال فقوله سبحانه وتعالى فان أصابه خير اطمأن به أي ان أصابه خير مما يلائم نفسه هو في نظره خير وقد يكون شرا في نفس الامر وان أصابته فتنة انقلب أي فقد ذلك الخير الذي كان به مطمئنا وسماه فتنة لان في الفقد اختبار ايمان المؤمن وفي الفقد يظهر أحوال الرجال فكم من ظان أن غناه بالله وانما غناه بوجود أسبابه وتعددات اكتسابه وكم من ظان أن أنسه بربه وانما أنسه بحاله دليل ذلك فقدانه لانسه عند فقدان حاله فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه وقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة خسر الدنيا بفقدان ما أراد منها وخسر الآخرة لانه لم يعمل لها فقد فاته ما طلبه وهو ما طلبناه حتى نكون له فافهم

(فصل) نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله تعالى والمدبرين معه وأمثلة الرزق وضمان الحق تعالى له فان بالمثال يتبين الحال * مثل المدبر مع الله كمن بنى بناءه على شاطئ البحر كلما اجتهد في بنائه كثرت عليه الامواج فتداعى جميع أنحائه كذلك المدبر مع الله تعالى يبني مباني التدبير وتهدمها واردات المقادير لاجل ذلك قيل يدبر المدبر والقضاء يضحك وقال الشاعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء الى رمال متراكمة فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال فتهدم ما بناه كما قيل

وعهودهم بالرمل قد درست * وكذاك ما يبنى على الرمل

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كمثل ولد سافر مع والده فسار الي‍لا والاب لا شفاقه على الولد يراقبه من حيث لا يراه الولد والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما فالولد مهموم بامر نفسه كيف يفعل في شأنه فاذا طلع القمر ورأى قرب الاب منه سكن جاشه وهدأ روعه لانه رأى قرب أبيه منه فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه انما دبر لانه في ليل القطيعة فلم يشهد قرب الله تعالى منه فلو طلع قمر التوحيد أو شمس المعرفة لرأى قرب الحق تعالى منه فاستحى أن يدبر معه واغتنى بتدبير الله تعالى له عن تدبيره لنفسه *(مثال آخر)* التدبير شجرة تسقى بماء سوء الظن وثمرتها القطيعة عن الله تعالى اذ لو حسن العبد ظنه بربه لماتت شجرة التدبير من قلبه لانقطاع غذائها وانما كان ثمرتها القطيعة عن الله تعالى لان من دبر لنفسه فقد اكتفى بعقله ورضي بتدبيره واحتال على وجوده فعقوبته أن يحال عليه وأن يمنع واردات المنن أن تصل اليه *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله كعبد أرسله سيده الى بلد ليصنع له فيها قماشا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره به السيد حيث دعاه سيده اليه فجزاؤه من سيده أن جازاه بالقطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بامر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير لك منه فان اشتغلت بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الردى *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى والذي لا يدبر كعبدين للملك أما أحدهما فاشتغل باوامر سيده ولا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همه خدمة السيد فاغفله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه ومهماتها وعبد آخر كيفما طلبه السيد وجده في غسل ثيابه وسياسة مركوبه وتحسين زيه فالعبد الاول أولى باقبال السيد من العبد الثاني المشتغل بحظوظ نفسه ومهماتها عن حقوق سيده والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير لا تراه الا مشغولا بحقوق الله تعالى ومراقبة أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق تعالى بكل أمره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه في توكله ومن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا في تحصيل أسباب دنياه وفي الاشياء التي توصله الى هواه قائما بوجود التدبير من نفسه لنفسه محالا عليها مقطوعا به عن وجود حسن الثقة وصدق التوكل *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى كالظل المنبسط في عدم استواء الشمس فاذا استوت الشمس فني ذلك الظل حتى لا يبقى منه الا بقية رسم لا تمحوه المقابلة كذلك شمس المعرفة اذا قابلت القلوب محت منها وجود التدبير الا بقاء رسم من تدبير العبد أبقي فيه ليجري عليه التكليف *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى لنفسه كرجل باع دارا أو عبدا ثم بعد المبايعة واتمامها جاء البائع الى المشتري فقال له لا تبن فيها شيأ أو اهدم منها بيت كذا أو افعل فيها كذا أو جاء البائع ليفعل ذلك فيقال له أنت قد بعت وليس لك بعد البيع تصرف فيما بعته اذ ليس

لأقلوبهم ويكفيك في ذلك خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بعير موقورة بالاحمال وتجهيز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسني أحوالهم رضي الله عنهم أجمعين رضاء دائما أبدا فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم فقد تبين من هذا ان التدبير على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة اللئام الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة الاكرمين والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجعلنا ممن اقتدى بهم آمين بل ألف ألف آمين *(فصل)* نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على لسان هواتف الحقائق في شأن التدبير والرزق أيها العبد ألق سمعك وأنت شهيد يأتك مني المزيد واصغ بسمعك فانا لست عنك ببعيد كنت بتدبيري لك قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن على الرعاية لها أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشاركني في خلقي وتصويري فلا تشاركني في حكمي وحكمي وتدبيري أنا المدبر الملكي وليس لي فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمي فلا أحتاج الى وزير أيها العبد من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تشاركه في المراد ومن عودك حسن النظر منه اليك فلا تقابله بالعناد عودتك حسن النظر مني لك فعودني اسقاط بعد

بعد المبايعة منازعة وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فعلى المؤمن أن يسلم نفسه لله وما انتسب اليها لانه أنشأها ولانه اشتراها ومن لازم التسليم ترك التدبير لما أنت له مسلم كما بيناه * وأما الرزق فمثال رزق العبد في هذه الدار كمثل سيد قال لعبده الزم هذه الدار قائما فيها بخدمة كذا فلم يكن السيد ليأمره بذلك الا وهو يطعمه ويسقيه ويكسيه ويقوم له بوجود الكفاية ولا يهمله من الرعاية كذلك العبد أمره الله تعالى في الدنيا بالطاعة والموافقة وضمن له وجود القسمة فليقم العبد بخدمته فان السيد قائم عليه بمنته قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقد تقدم بيانه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى في هذه الدنيا كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع ولدها من كفالتها ولا أن تخرجه من رعايتها وكذلك المؤمن مع الله تعالى قائم له الحق تعالى بحسن الكفالة فهو سائق اليه المنن ودافع عنه المحن رأى رسول الله عليه السلام امرأة معها ولدها فقال أترون أن هذه طارحة ولدها في النار فقالوا لا يا رسول الله فقال عليه السلام الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها *(مثال آخر)* مثل العبد في الدنيا كمثل عبد قال له سيده اذهب الى أرض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر من تلك الارض في برية كذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد في ذلك فمعلوم انه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى في طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد أوجده الحق في هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال الحق تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فمعلوم انه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده واستعداده وتأهبه لمعاده *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل سيد له بستان أمر عبده أن يكون فيه غارسا وزارعا وقائما بمصلحته فان كان ذلك العبد حين أمر بذلك قام بما طلبه السيد منه لا يخرج عنه فليس السيد بلائم له ولا مانع اياه من أكله من ذلك البستان فانه اذا أكل منه عمل فيه لكن على العبد أن يأكل ما يستعين به على الخدمة وأن لا يأكل أكل التمتع والتشهي *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله كمثل والد غرس غرسا كثيرا وبنى ربعا كبيرا فقيل له لمن فعلت هذا فقال لولد عساه أن يحدث لي فهيأ للولد ما يحتاج اليه قبل وجوده حبا منه له أفترى اذا أعد له الاب قبل وجوده أيمنعه اياه بعد وجوده كذلك العبد مع الله تعالى هيأ له الحق المنة من قبل أن يخلقه في هذه الدار لان المنة سابقة لوجودك ان فهمت ألا ترى انه سبق عطاؤه اياك وجودك ومنته عليك ظهورك اذ هو أعطى في الازل قبل أن يكون العبد ويكون منه له عمل فاقسمه لك في الازل وادخره لك ليس بمانعه عنك أهو هيأ لك قبل الوجود ويمنعك لما وجدت *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل أجير أتى به ملك الى داره وأمره بان يعمل له عملا فما كان الملك ليأتي بالاجير فيستخدمه في هذه الدار ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك كذلك العبد مع الله تعالى فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هي الجنة ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ثم لا يسوق لك ما به تستعين عليه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل ضيف نزل على ملك كريم في داره فحق على ذلك الضيف أن لا يهتم بمأكل ولا مشرب لانه ان فعل ذلك كان تهمة للملك وسوء ظن منه به وقد تقدم ذلك من قول الشيخ أبي مدين رحمه الله كذلك الدنيا دار الله والعباد فيها ضيوفه ولم يكن الله تعالى ليأمر بالضيافة على لسان رسوله عليه السلام ويكون لها تاركا فالمهتم فيها بمأكل ومشرب متوقت في نظر الملك اذ لولا شكه في الله لما كان يهتم بشانه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم في أرض كذا يحارب العدو الذي هنالك وأن يبذل عزمه في مجاهدته وأن يدوم على محاربته فمعلوم أنه اذا أمره بذلك أنه يبيح له أن يأكل من اهداء تلك البلدة ومخازنها بالامانة ليستعين بذلك على محاربة العدو الذي أمره الملك بمحاربته كذلك العباد أمرهم الحق

التدبير منك معي أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى وقد سلمت لي قيامي بمملكتي وأنت من مملكتي فلا تنازع ربوبيتي ولا تضادد بتدبيرك مع وجود ألوهيتي متى أحوجتك اليك حتى تحتال عليك متى وكلت شيأ من مملكتي لغيري حتى أكل ذلك اليك متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له ناصرا أيها العبد لتشغلك خدمتي عن طلب قسمتي وليمنعك حسن الظن بي عن اتهام ربوبيتي لا ينبغي أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكيم ولا أن يعالهم مع لطيف لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معي ولقد دل على تيسير الامور من احتال علي ولقد استوجب النصر مني عبد اذا تحرك يتحرك بي ولقد استمسك باقوى الاسباب من استمسك بسببي أيها العبد نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ونريد منك ان تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن ترضانا ولا ترضى سوانا وكاملت لي تدبيري في أرضي وسمائي وانفرادي فيهما بحكمي وقضائي سلم وجودك لي فانك لي ولا تدبر معي فانك معي واتخذني وكيلا وثق بي كفيلا أعطك عطاء جزيلا وأهبك نفرا جليلا ويحك انا أجللناك قدرك أن نشغلك بامر نفسك فلا تصغر قدرك يا من رفعناه لا تذكر بحوالتك على غيري يا من أعززناه ويحك أنت عندنا أجل من أن نشغلك بغيرنا لحضرتي خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتي اليها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت الي باعراضك عما سواي أحببتك أيها العبد ما آمن بي من نازعني ولا وحدني من دبر

بمحاربة الشيطان بقوله و جاهدوا في الله حق جهاده وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمرهم بمحاربته أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم لطاعته ولا أن تنهض بخدمته فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة اباحة تناول ما هو منسوب للملك مما هو معد لك لكن على طريق الامانة محفوفا بالصيانة *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كشجرة غرسها غارس طالبا نموها ونتاجها فقد علمت الشجرة ان يكن لها علم أو علمنا ذلك فيها انه ما كان ليغرسها و يمنعها السقي كيف وهو حريص على نتاجها مريد لنمائها كذلك أنت أيها العبد شجرة الله غارسك وهو ساقيك في كل وقت قائم لك بوجود التغذية فلا تتهمه أن يغرس شجرة وجودك ثم يمنعك من السقيا بعد الغرس فانه ليس بغافل *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل ملك له عبيد بنى دارا وأحسنها وبهجها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها في غير الموطن الذي العبيد فيه وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كان هذا غايته بهم فيما ادخره لهم عنده وهياه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه وهو قد هيا لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم في الدنيا وهيا لهم الجنة كما هيا لهم الآخرة وهو يريد أن يمنعهم من الدنيا ما يقوم به وجودهم ولذلك قال تعالى كلوا واشربوا من رزق الله وقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فاذا ادخر لك الباقي ومن به عليك لا يمنعك الفاني فان منعك منه فانما منعك ما لم يقسمه لك وما لم يقسمه لك فليس لك فكان ذلك المنع لك منه عطاء ونظرا علم ان فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك كما قطع تولي الماء عن الشجرة لئلا يتلفها دوام السقيا *(مثال آخر)* مثل المتهمم بامر دنياه الغافل عن التزود لآخرته كمثل انسان هاجه سبع وقد كاد أن يفترسه و وقع عليه ذباب فاشتغل بذب ذلك الذباب ودفعه عن التحرز من الاسد فهذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان بالعقل متصفا لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة في أمر الذباب والاشتغال به كذلك المتهمم بامر دنياه الغافل عن التزود لاخراه دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فاهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التي هو مسؤل عنها وموقوف فيها ولا يشتغل بالاهتمام بأمر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة الى الآخرة كنسبة الذباب الى مفاجأ الاسد وهجومه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل الطفل مع أبيه لا يعول مع الاب هما ولا يخشى عدما لعلمه ان الاب قائم له بوجود الكفالة فطيبت الثقة به عيشه وأزال الاعتماد على أبيه غمه كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى لا يعول الهموم ولا ترد بساحة قلبه الغموم من شأن الرزق لعلمه بان الحق لا يدعه وعن فضله لا يقطعه ومن جوده واحسانه لا يمنعه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غني متصف بالثروة والاحسان الى عبيده وغير معروف بالمنع موصوف بالجود والعطاء والعبد بفضله واثق ولاحسانه رامق علم من سيده الغنى فاخرجه ذلك عن وجود العناء وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق البلخي رحمه الله قال عبرت في زمن مجاعة فوجدت غلاما منبسطا منشرحا ليس عنده علم مما الناس فيه فقلت له يا فتى أما تعلم ما الناس فيه فقال وما أبالي ولمولاي قرية خالصة يدخل الينا كل يوم ما نحتاج اليه فقلت في نفسي ان كان لسيده هذا قرية خالصة فمولاي له خزائن السموات والارض فأنا أولى بالثقة من هذا بسيده وهو كان سبب انتباهي *(مثال آخر)* مثل العبد المتسبب المرزوق في وجود السبب كمثل عبد قال له السيد اعمل وكل من عملك ومثال المتجرد كمثل عبد قال له السيد الزم أنت خدمتي وأنا أسوق اليك مني *(مثال آخر)* مثل العبد النافذ الى الله تعالى في الاسباب بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب اذا أمطرت السماء فهو يشكر الله تعالى وحده ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له بل علم أنه ان لم يكن فيه

معي ولا رضى بي من شكى ما أنزلت به الى غيري ولا اختارني من اختار معي ولا امتثل أمري من لم يستسلم لقهري لو طلبت التدبير لنفسك لجهات فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معي ما أنصفت فكيف اذا اخترت على أيها العبد يكفيك من الجهل ان تسكن لما في يدك ولا تسكن لما في يدي انا اختار لك أن تختارني أفتختار علي يا مهموما بنفسه لو ألقيتها الينا لاسترحت ويحك اعباء التدبير لا يحملها الا الربوبية وليس يقوى عليها ضعيف البشرية ويحك أنت محمول فلا تك حاملا أردنا راحتك فلا تكن لنفسك متعبا أيها العبد أمرتك بخدمتي وضمنت لك بقسمتي فاهملت ما أمرت وشككت فيما ضمنت ولم أكتف بقسمتي لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت نخاطبت عبادا يفهمون فقلت وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقد رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني ويحك الغارس للشجرة ساقيها والممد للخليقة هو باريها مني كان الايجاد وعلى دوام الامداد مني كان الخلق وعلى دوام الرزق أأدخلك داري وأمنعك ابراري أأبرزك لكوني وأمنعك وجود عوني أأخرجك الى وجودي وأمنعك جودي لك هيأت مني وفيك أظهرت رحمتي وما قنعت بالدنيا حتى ادخرت لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى أتحفتك برؤيتي فاذا كانت هذه أفعالي فكيف تشك في افضالي فاخترني ولا تختر علي ووجه قلبك بالصدق الي فان فعلت أريتك غرائب لطفي و بدائع جودي وامتع لم

لم يجد شيأ كذلك الاسباب ميازيب المنن فمن دخل في الاسباب وهمته متعلقة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليها القطيعة فيما هنالك ومثل الواقف مع الاسباب الغافل عن وليها كمثل البهيمة يعبر عليها مالكها فلا تلتفت اليه وهو المالك لها والمعطي لسائسها ما ينفق عليها فاذا عبر سائسها بصبصت بعينها وتشوفت اليه لاعتيادها منه أنه يتولى طعمتها فالعبد كذلك لانه اذا أجرى عليه الاحسان على أيدي الخلق يشهد ذلك منهم ولم يخرجه عنهم فهو كالبهيمة بل البهيمة أحسن حالا منه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون *(مثال آخر)* مثل الواقف مع الاسباب والنافذ الى الله فيها كمثل رجلين دخلا حماما أحدهما وافر العقل والآخر غالب عليه البلاهة فاذا توقف الماء فاما العاقل فيعلم ان له مصرفا من ورائه يصرفه ومجريا يجريه فيرجع اليه ايرسل له منه ما كان قطعه أو يفعل ما يشاء وأما الآخر فياتي الى الانبوب فيقول أيها الانبوب اسكب لنا ماء ما لك قطعت مائك فيقال له انك لاحمق وهل الانبوب يسمع شيأ أو يفعل شيأ انما هي محل ومجرى يظهر فيهما ما أجري فيها * مثال العبد المدخر كعبد للملك جعله في بستانه ليقوم باصلاح شأنه فللعبد أن يأكل من ثمرات ذلك البستان ما يتقوى به على الغراس والزراعة فيه وليس له أن يدخر لان ثمرة ذلك البستان دائمة وسيده غني قادر فان ادخر بغير اذن سيده امسا كا على نفسه وتهمة لسيده فقد خان * ومثال العبد الذي لا يدخر كعبد هو في بستان السيد أو في داره علم أنه لا ينساه سيده ولا يهمله بل يبذل له خيره و يوصل اليه بره فاغتنى بسيده عن الادخار معه وبغناه عن أن يحتاج وأن يعتمد على شيء دونه فهذا العبد حري أن يواجه بالاقبال وأن يسعف بالنوال *(مثال آخر)* المدخر بالامانة كعبد للملك لا يرى أن له مع سيده شيأ لا يعتمد ادخار ما في يده ولا بذله بل لا يختار الا ما اختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد أن الامساك مراد سيده أمسك لسيده لا لنفسه حتى يتخير موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم عن سيده ارادة صرفه فهذا بامساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله تعالى ان بذلوا فلله وان أمسكوا فله يبتغون ما فيه رضاه ولا يريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء وأحرار كرماء قد حررهم الحق تعالى من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولا أقبلوا عليها بود منعهم من ذلك ما أسكن في قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده وليس الممسك لله بدون الباذل له فصارت الاشياء في أيديهم كهي في خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم ان الله تعالى يملكهم و يملك ما ملكهم ومن لم يحسن الامساك لله لم يحسن البذل له فافهم

(فصل) نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق في شان التدبير والرزق *(أيها العبد)* الق سمعك وأنت شهيد يأتك مني المزيد واصغ بسمع قلبك فأنا عنك لست ببعيد *(أيها العبد)* كنت لك بتدبيري لك من قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن في الرعاية لها (أيها العبد) أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشركني في خلقي وتصويري فلا تشاركني في حكمي وتدبيري أنا المدبر لملكي وليس لي فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمي فلا أحتاج فيه الى وزير (أيها العبد) من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تنازعه في المراد ومن عودك حسن النظر منه لك فلا تقابله بالعناد (أيها العبد) عودتك حسن النظر مني لك فكن على اسقاط التدبير منك معي (أيها العبد) أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى أما يحيلك على علمك بانه لا مدبر لك غيري أما يجنبك من المنازعة لي ما سبق من وجود خيري (أيها العبد) انظر نسبة وجودك من أكواني ترى انك متلاش في الفاني فما ظنك بما ليس بفاني وقد سلمت لي قيامي بمملكتي وأنت من مملكتي فلا تنازع ربوبيتي ولا تضاد بتدبيرك معي وجود الاهيتي (أيها العبد) أما يكفيك اني أكفيك أما يوجب سكونك لي سوابق عوائدي فيك

سرك بشهودي لقد ظهرت الطريق لاهل التحقيق وبينت معالم الهدى لذوي التوفيق فحق سلم الي الموقنون وبيان توكل على المؤمنون علموا اني خير لهم من أنفسهم لا نفسهم وان تدبيري لهم أحرى من تدبيرهم لها فاذعنوا لربوبيتي مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدي مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة في نفوسهم ونورا في عقولهم ومعرفة في قلوبهم وتحقيقا بقربي في أسرارهم هذا في هذه الدار ولهم عندي اذا قدموا علي ان أجل منصبهم وأعلي محلهم ولهم اذا أدخلتهم داري ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أيها العبد الوقت الذي أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فلا تطالبني فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكفلت لك واذا استخدمتك أطعمتك واعلم باني لا أنساك ولو نسيتني واني ذكرتك من قبل ان تذكرني وان رزقي عليك دائم وان عصيتني فاذا كنت لك كذلك في اعراضك عني فكيف ترى ان أكون في اقبالك على ما قدرتني حق قدري ان لم تستسلم لقهري ولا رعيت حق بري ان لم تمتثل أمري فلا تعرض عني فانك لا تجد من تستبدله مني ولا تغتر بغيري فلا أحد يغنيك عني أنا الخالق لك بقدرتي وأنا الباسط لك منتي فكما انه لا خالق غيري فكذلك لا رازق غيري أأخلق وأحيل على غيري فانا المتفضل وامنع العباد وجود خيري وأنا المنعم فثق أيها العبد وأنا رب العباد واخرج من مرادك الى أبلغك عين المراد واذكر سوابق لطفي ولا تنس حق الوداد

(مناجاته رضي الله تعالى عنه) الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري وأنا الجهول في علمي فكيف لا أكون جهولا

فى جهلى الهى منى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على وان ظهرت المساوى منى فبعدلك
ولك الحجة على الهى كيف تكلنى وقد توكلت لى وكيف أضام وأنت الناصر لى أم كيف أخيب وأنت الحفى بى ها أنا

(أيها العبد) متى أحوجتك اليك حتى تحتال عليك ومتى وكات شيأ من مملكتى لغيرى حتى أكل ذلك اليك (أيها العبد) أعددت لك جودى من قبل أن أظهرك لوجودى وظهرت بقدرتى فى كل شئ فكيف عكنك بجودى (أيها العبد) متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له منتصرا (أيها العبد) أتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى (أيها العبد) لا ينبغى أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكيم ولا أن يعالهم مع لطيف (أيها العبد) لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معى ولقد دل على يسر الامر من احتال على ولقد ظفر بكنز الغنى من صدق فى الفاقة الى ولقد استوجب النصر منى عبد اذا تحرك تحرك بى ولقد استمسك بأقوى الاسباب من استمسك بسببى انى آليت على نفسى أن أجازى أهل التدبير بوجود التكدير وأن أهدم ماشيدوا وأحل ماعقدوا وأن أكلهم اليهم وأن أحيلهم عليهم منوعين من روح الرضا ونعيم التفويض فلو فهموا عنى لاقتنعوا بتدبيرى لهم عن تدبيرهم لانفسهم وبرعايتى لهم عن رعايتهم اياها فاذا كنت أسلك بهم سبيل الرضا وانهج بهم منهج أهل الهدى وأسعى بهم فى طريق بيضاء واجعل عنايتى بهم واقية لهم من كل ما يخافون وجالبة لهم جميع ما يرجون وذلك على يسير (أيها العبد) نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ونختار لك أن تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن ترضانا ولا نرضى لك أن ترضى سوانا *(أيها العبد) ان قضيت لك فلارادتى ظهور فضلى عليك وان قضيت عليك فلانى أريدان أورد فى قضائى أسرار لطفى اليك *(أيها العبد)* لا تجعل جزاء ما أظهرت فيك من نعمتى وجود منازعتى ولا تجعل عوض ما أحسنت لك بالعقل الذى ميزتك به وجود مضاددتى *(أيها العبد)* كما سلمت لى تدبير أرضى وسمائى وانفرادى فيهما بحكمى وقضائى سلم وجودك لى فانك لى ولا تدبر معى فانك معى واتخذنى وكيلا وثق بى كفيلا أعطيك عطاء جزيلا وأهبك فخرا جليلا *(أيها العبد)* انى حكمت فى أزلى انه لا يجتمع فى قلب عبدى ضياء التسليم لى وظلمة المنازعة معى فتى كان واحد منهما لم يكن الآخر معه فاختر لنفسك ويحك انا أجللنا قدرك أن تشتغل بامر نفسك فلا تصغر قدرك يامن رفعناه ولا تذلن بحوالتك على غيرى يامن أعززناه ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتى خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتى اليها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت لى باعراضك عما سواى أحببتك *(أيها العبد)* أما كفاك لو اكتفيت وهداك لو اهتديت أنى أنا الذى خلقت فسويت وتصدقت فاعطيت أما عنعك ذلك من منازعتى فيما قضيت ومعارضتى فيما أتيت *(أيها العبد)* ما آمن بى من نازعنى ولا وحدنى من دبر معى ولا رضى بى من شكا ما أنزلت به الى غيرى ولا اختارنى من اختار معى وما امتثل أمرى من لم يستسلم لقهرى ولا عرفنى من لم يفوض أمره الى ولقد جهلنى من لم يتوكل على *(أيها العبد)* يكفيك من الجهل أن تسكن لما فى يدك ولا تسكن لما فى يدى وان أختار لك أن تختارنى فتختار على ويحك لا تجتمع عبودية واختيار ولا ظلم وأنوار ولا توجهك لى وتوجهك للآثار فاما أنا لك أو أنت لنفسك فاختر على بيان ولا تستبدل الهدى بالخسران *(أيها العبد)* لو طلبت منى التدبير لنفسك جهلت فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معى ما انصفت فكيف اذا اخترت على *(أيها العبد)* لو أذنت لك أن تدبر كان يجب أن تستحى من أن تدبر وكيف وقد أمرتك أن لا تدبر يامهموما بنفسه لو ألقيتها الينا لاسترحت ويحك اعباء التدبير لا يحملها الا الربوبيه ولا تقوى عليها البشريه ويحك أنت محمول فلا تكن حاملا أردنا راحتك فلا تكن متعبا لنفسك من دبرك فى ظلمات الاحشاء وأعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغى لك أن تنازعه فيما يشاء *(أيها العبد)* أمرتك بخدمتى وضمنت لك قسمتى فاهملت ما أمرتك

أتوسل اليك بفقرى وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل اليك أم كيف أشكو اليك حالى وهو لا يخفى عليك أم كيف أترجم بمقالى وهو منك برز اليك أم كيف تخيب امالى وهى قد وفدت عليك أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت واليك الهى ما ألطفك بى مع جهلى وما أرحمك بى مع قبيح فعلى وما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك الهى كلما أخرسنى لؤمى انطقنى كرمك وكلما أياستنى أوصافى اطمعتنى منتك الهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لا تكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى الهى كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى

توصل اليك الهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك وهذا حالى لا يخفى عليك منك أطلب الوصول وبك استدل عليك فاهدنى بنورك اليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك

وشككت

الهى علمنى من علمك المخزون وصنى بسر اسمك المصون وحققنى بحقائق أهل القرب واسلك بى فى مسالك أهل الجذب وأغننى بتدبيرك
عن تدبيرى وباختيارك عن اختيارى وأوقفنى على مراكز اضطرارى وأخرجنى من ذل نفسى وطهرنى من شكى

وشككت فيما ضمنت ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت وخاطبت عبادا يفهمون فقلت وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ولقد اكتفى بوصفى العارفون واحتال على كرمى الموقنون فلو لم يكن وعدى لعلموا انى لا أقطع عنهم واردات رفدى ولو لم يكن ضمانى لوثقوا بوجود احسانى وقد رزقت من غفل عنى وعصانى فكيف لا أرزق من أطاعنى ورعانى ويحك الغارس للشجرة هو ساقيها والممد للخليقة هو باريها ويكفيها انه كافيها ومكافيها منى كان الايجاد وعلى دوام الامداد منى كان الخلق وعلى دوام الرزق ويحك هل تدعو لدارك الامن تريد أن تطعمه وهل تنسب لنفسك الامن تحب أن تكرمه *(أيها العبد)* اجعل همك فى مكان همك برزقك فان ما حملته عنك فلا تتعبن به وما حملته أنت فكن أنت به أندخلك دارى وتمنعك ابرارى أنبرزك لكونى وتمنعك وجود عونى أتخرجك الى وجودى وتمنعك جودى أأطالبك بحقى وأمنعك وجود رزقى أأقتضى منك خدمتى ولا أقضى لك بقسمتى ويحك عندى لك هبات شتى وفيك أظهرت رحمتى وما قنعت لك بالدنيا حتى ادخرت لك جنتى وما اكتفيت لك بذلك حتى اتحفتك برؤيتى فاذا كانت هكذا افعالى فكيف تشك فى افضالى *(أيها العبد)* لا بد لنعمتى من آخذ ولفضلى من قابل وأنا الغنى عن الانتفاع بالمنافع لما دل عليه الدليل القاطع فلو سألتنى أن أمنعك رزقى ما أجبتك ولو سألتنى ان أحرمك من فضلى ما أحرمتك فكيف وأنت دائما تسالنى وكثيرا ما تطلب منى فاستحى منى ان كنت لا تستحى منى وافهم عنى ولقد أعطى كل العطاء من فهم عنى (أيها العبد) تخيرنى ولا تتخير على ووجه قلبك بالصدق الى فانك ان تفعل أريك غرائب لطفى وبدائع جودى وأمتع سرك بشهودى لقد أظهرت الطريق لاهل التحقيق وبينت معالم الهدى لذوى التوفيق فحق سلم الى الموقنون وبييان توكل على المؤمنون علموا انى لهم خير من أنفسهم لانفسهم وان تدبيرى لهم اجدى عليهم من تدبيرهم لها فاذعنوا لربوبيتى مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدى مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة فى نفوسهم ونورا فى عقولهم ومعرفة فى قلوبهم وتحققا بقربى فى أسرارهم هذا فى هذه الدار ولهم عندى اذا قدموا على أن أجل منصبهم وأعلى محلهم وانشر ألوية المجد عليهم ولهم اذا أدخلتهم دارى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (أيها العبد) الوقت الذى أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فكيف تطالبنى فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكلفت لك واذا استخدمتك أطعمتك واعلم بانى لا أنساك وان نسيتنى وانى ذكرتك من قبل ان ذكرتنى وان رزقى عليك دائم وان عصيتنى فاذا كنت كذلك لك فى اعراضك عنى فكيف ترى أكون لك فى اقبالك على ماقدرتنى حق قدرى ان لم تستسلم لقهرى ولا رعيت حق برى ان لم تمتثل امرى فلا تعرض عنى فانك لا تجد من تستبدل منى ولا تغتنى بغيرى فان أحدا لا يغنيك عنى أنا الخالق لك بقدرتى وأنا الباسط لك منتى فكما أنه لا خالق غيرى كذلك لا رازق غيرى أأخلق وأحيل على غيرى وأنا المتفضل وأمنع العباد وجود غيرى فثق أيها العبد بى فانا رب العباد واخرج عن مرادك معى ابلغك عين المراد واذكر سوابق لطفى ولا تنس حق الوداد* أردنا ان نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له وهو (اللهم) انا نسالك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم اجعلنا من المستسلمين اليك ومن القائمين بين يديك واخرجنا من التدبير معك أو عليك واجعلنا من المفوضين اليك اللهم انك قد كنت لنا من قبل أن نكون لانفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت قبل وجودنا وألبسنا ملابس لطفك وأقبل

وشركى قبل حلول رمسى بك استنصر فانصرنى وعليك أتوكل فلا تكلنى واليك أسأل فلا تحرمنى وفى فضلك ارغب فلا تخيبنى ولجنابك انتسب فلا تبعدنى وببابك أقف فلا تطردنى الهى ان القضاء والقدر غلبنى وان الهوى بوثائق الشهوة أسرنى فكن أنت الناصر لى حتى تنصرنى وتبصرنى واغننى بفضلك حتى استغنى بفضلك عن طلبى أنت الذى أشرقت الانوار فى قلوب أوليائك وأنت الذى أزلت الاغيار من أسرار أحبائك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذى فقد من وجدك ولقد خاب من رضى دونك بدلا ولقد خسر من بغى دونك متحولا كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان يامن أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ويامن ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادى بالاحسان من قبل توجه

العابدين وأنت الجواد بالاعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب لنا ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين فاطلبنى برحمتك حتى أصل اليك واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك الهى ان رجائى لا ينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفى لا يزايلنى وان أطعتك قد دفعتنى

علينا بجنابك وعطفك وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا وأشرق نور التفويض فى أسرارنا واشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقضيه فينا وتختاره لنا أحب الينا من مختارنا لانفسنا اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عما أمرتنا ولا بشئ أنت ضامنه لنا عن شئ أنت طالبه منا اللهم انك دعوتنا الى الانقياد اليك والدوام بين يديك وانا عن ذلك عاجزون الا أن تقدرنا وضعفاء الا أن تقوينا ومن أين لنا ان نكون فى شئ الا ان كونتنا وكيف لنا ان نصل لشئ الا ان وصلتنا وأنى لنا ان نقوى على شئ الا ان أعنتنا فوفقنا لما به أمرتنا وأعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا اللهم ادخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعمنا بها وفيها واجعل أسرارنا معك لامع نعيمها ولذنا بك لا بزينتها وبهجتها اللهم أشرق علينا من أنوار الاستسلام اليك والاقبال عليك ما تبتهج به أسرارنا وتتكمل به أنوارنا اللهم انك قد دبرت كل شئ قبل وجود كل شئ وقد علمنا انه لن يكون الا ما تريد وليس هذا العلم نافعا لنا الا أن تريد فردنا بخيرك وارفع شاننا بفضلك واقعدنا بعنايتك وحفنا برعايتك واكسنا من ملابس أهل ولايتك وأدخلنا فى وجود حمايتك انك على كل شئ قدير اللهم انا علمنا ان حكمك لا يعاند وقضاءك لا يضادد وقد عجزنا عن ردنا ما قضيت ودفع ما أمضيت فنسالك لطفا فيما قضيت وتاييدا فيما أمضيت واجعلنا فى ذلك ممن رعيت يارب العالمين اللهم انك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلنا اليها بالهناء والسلامة من العناء مصانين فيها من الحجبة محفوفين فيها بانوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها لاحد من العالمين اللهم ان الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة لنا والعود بالجدوى علينا اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك اللهم انا اليك محتاجون فاعطنا وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزا عن معصيتك واستسلاما لربوبيتك وصبرا على أحكام الهيتك وعزا بالانتساب اليك وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك واجعلنا ممن دخل ميادين الرضا وكرع من تسنيم التسليم وجنى من ثمار المعارف وألبس خلع التخصيص وأتحف تحفة القرب وفوتح من حضرة الحب دائمين على خدمتك محققين لمعرفتك متبعين لرسولك وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يارب العالمين انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

العوالم اليك وأوقفنى على بكرمك عليك فكيف أخيب وأنت أملى أم كيف أهان وعليك متكلى كيف استعز وفى الذلة أركزتنى أم كيف لا أستعز واليك قد نسبتنى كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى أم كيف أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى أنت الذى لا اله غيرك تعرفت لكل شئ فما جهلك شئ وأنت تعرفت لى فى كل شئ فرأيتك ظاهرا فى كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الانوار يامن احتجب فى سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى الطاهر الذكى وعلى آله صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب ويزول بها الضرر وتهون بها الامور الصعاب صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين

(يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى)

بعد حمد مفيض نور الوجود على أفق هيا كل الموجودات والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خير البريات وعلى آله ذوى النفوس الزكيه وأصحابه أصحاب الهمم العليه فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب التنوير فى اسقاط التدبير للامام أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى الشاذلى رحمه الله وأحله من دار كرامته فى المكان العلى وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور وذلك بالمطبعة الميمنيه

بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدى أحمد الدردير

قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى شهر

جمادى الثانية سنة ١٣٢١ هجريه

على صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحية

آمين *

